الرموز والأصابع

ةٌ بَينَ قَرَامِطَةِ الأَمْس.. وقَرَاصِنَةِ اليَوْم..

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث
الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م

الرموز والأصابع

مُقَارَنَةٌ بَينَ قَرَامِطَةِ الأَمْس.. وقَرَاصِنَةِ اليَوْم..

تأليف

أَبِي بَكرٍ العَدَنِي ابن عَلِيّ بن أَبِي بَكرٍ المَشهور

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني ..

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ
عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

[النمل :٧٩- ٨١]

الإهداء..

إلى الذين استمرؤوا طعم اللذةِ حتى احتجب القلب عن الإدراكِ والأُذُنُ عن الوعي ..

إلى القوافلِ المحْبطَةِ المجتمعة.. والمتفرقةِ في شتاتِ الأوطان بلا هوية ولا انتماء ..

إلى الذين نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم ..

وأخيراً.. إلى الراغبين في عودة الماضي التعيس..

الذين تشغلهم قضيةُ البطون.. وتعنِيهم مسألةُ القتلِ والسحلِ والإهانات ..

أُذَكركُم اللّه.. والرسولَ.. والدين الموؤود..

{ومن يردِ اللّه فتنته فلن تملك له من اللّه شيئاً}..

المؤلف

مقدمة

الحمد للّه الذي جعل الحياةَ مدرسةَ المعرفةِ والتجارب، يتعلـم من خلال تقلبا ا المرءُ حكمةَ الخالقِ في الآيبِ والذاهب، والشارقِ والغارب، {وتِلْك الأيام نداولِهُا بين الناس}. والصلاةُ والسلام على العلـمِ النبراس، سيدِنا محمدِ بن عبداللّه الكاشفِ مراحلَ التحول والتبدل بما منحه اللّه من المواهبِ وبركة الحواس، وعلى آله وأصحابه نماذجِ الصبرِ والصدقِ أهل الخُلُقِ الحَسنِ والشجاعةِ ورِقةِ الإحساس، وعلى من تِبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد فقد ظلّ كتاب « الرموزِ والأصابعِ » زمناً طويلاً حبِيس التحولات، ورهين ا ـريات، منذ تأليفه خلالَ مرحلةِ الهتكِ الأحمر، حتى ضياعه «صدفَةً» في إحدى المكتبات بعد صفّه وتجهيزه للطباعةِ قبيل مرحلة الوحدة المباركة في اليمن.. ثـم عادت فكرةُ تبييضِ مسوداتِه بعد مرحلةِ الوحدة وتجهيزه للنشرِ مرة أخرى، وتـمت إضافةُ بعض التعليقات والهوامشِ بما يخدم الفكرةَ ويشرح أبعادها.

وتيسيراً لفهم القراء وتبسيطاً لفكرة الرموز وما تحتويه من المعاني الذي اجتاحت لواعجي أثناء التأليف أضع الإيضاحات التالية:

العنوان «الرموز والأصابع»

جاء عنوان الكتاب في كلـمتين: « الرموز » ، والتي يشار ا إلى ثـمرات الحركة ومؤسسا ا الحاملةِ لواءَ التغيير، و«الأصابع» ، وهي

عناصر القيادات والقرار، وما فوق ذلك مسكوت عنه؛ لأن الأصابع جزءٌ من كف متحركةٍ في جسمٍ متكاملٍ.

قرامطة الأمس وقراصنة اليوم

وقد أخذتِ المقارنةُ التاريخيةُ بين فئتي القرامطةِ والقراصنةِ حيزاً كبيراً من الكتاب على أساسٍ تحليلي. والـمقارنةُ بينهما تجتـمع في أمورٍ وتختلف في أمور أخرى، كما اختلفت التسميةُ ذا ا، فالاختلاف النسبي قائم وكائن في التسمية، والاتفاق حاصلٌ في الأهداف والغايات وبعض الوسائل.

وقد اعتقد البعض أن القرامطةَ مظلومون في التاريخ من حيثياتٍ كثيرة، ومثل هذه الأقاويل هي ذا ا تبرئ أيضا ساحةَ القراصنة المعاصرين، ويقول كثير من المتعاطفين معهم: إنّ وصفَنا كوصف غيرنا من المتحاملين على الثورات، وصنف يرانا من المتضررين من الإجراءات.

والحقيقةُ المُرةُ أن العالـم العربي بأسره -وخاصةً «الشعوب المغلوبةُ»- لا تدري من الأمر شيئا ، اللّهم إلا ما تفرزه منافيخ الرموز في الماضي والحاضر، وتسوقه استثـمارات الإعلام في الغثاء المعاصر.

وحتى بعض العلـماء الأفاضل تجد كثيراً منهم محشورين على حافة جحرِ الضب يبررون للبسطاء مشاريع التغريب والتذويب، حيناً بعلـمٍ، وحيناً بجهلٍ يتجاوز مراتب العلـم .

وقليلٌ منهم مغلوبون وهائمونَ في سبحاتِ الانغلاق عن مجريات الأمور، بعد اقتناعٍ واعٍ بقول المصطفى صلى اللّه عليه وسلـم:«إذا رأيت

شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كُل ذي رأيٍ برأيه فعليك بخويصةِ نفسِك ودعك من أمرِ العوام..إلخ» .

واختيارنا لـمسمى « القراصنة » هنا إشارةٌ واضحةٌ لاستغلال المتأخرين مسمياتِ الأوائل كمطيةٍ لسياساتٍ عالـميةِ الغرضِ والهدفِ، كما هو في مسميات أخرى ابتدِعت في المرحلة المعاصرة ، حملتِ الغثائيين من الشعوب المغلوبة على امتطاءِ الصعب في معركة الصراع العقائدي بين المصلين.

أسباب التأليف

وأما أسباب تأليف الكتاب فهي:

تقييم مرحلةٍ خطيرةٍ من مراحل التغريب بالأمة نحو جحر الضب،

ومناصرةٌ حقيقيةٌ لرؤيةِ الإسلامِ العالـميةِ التي وضع لَبِناتِها الأولى رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلـم في العالـم،وكشف واعٍ لنموذجٍ من نماذجِ الدجلِ المُدججِ بالـمسمياتِ والشعاراتِ والانفعالاتِ، التي لا تخرج عن برنامج الانحراف المسيس للعصبةِ الدجاليةِ في العالـم،وتقرير حالةٍ من حالاتِ الاضطرابِ التي شملت مجتـمعاً إسلامياً عربياً بسيطَ الرؤيةِ وطيب العلاقةِ وصادق الوجهة، أنزلَت عليه قوى الشر في العالـم معاولَ الهَدمِ السياسي والاجتـماعي لتصل إلى بغيتها الصليبيةِ الماسخةِ بالتدرج والتأني.

مادة الكتاب هي المعاناة الذاتية

ومادةُ هذا الكتاب وكافة تقاريره معاناةٌ يوميةٌ عشتها بذاتي بين «وظيفة التدريس - ودراسة الجامعة» ، وتفاعلُ المواطن مع برامج التحول، وسياسة التـحول والتقول.

بل كان السبب الأساسي في الانفعال الداخلي للذات مواجهةٌ يوميةٌ مع رموز الفكر المادي.. وأساطين المسخ المسرحي في الواقع المحيط.

ولـم أكن يومها قد نضِجت في مقارعةِ المنهج الشرقي نضوجاً كافياً؛ ولكن الفطرة التي نشأت عليها والـمدرسةُ التي تلقيت منها كوامن البناءِ النفسي والتركيبِ الفكري؛ كلها كانت كافيةً يومها لخوض معركةِ التوازن مع كافة الرموز في واقع الحركة اليومية، بعد تعثراتٍ كادت أن تهز المواقف كلها ، وتجربةٍ مريرةٍ في موافقاتٍ ومشاركاتٍ ذاتِ صبغةٍ وطنيةٍ انفعاليةٍ، حتـمتها مواقع العمل ورغبةُ الإنسان في صناعة التحول الإيجابي، كما هو الظن القاصر آنذاك.

ولـم تكدِ العاصفةُ تسكُن والجو المتلبد يصفو بعض الوقت حتى انكشف الغبار عن حقيقة ما ورائه، وقرأ العشرات والـمئات من المخدوعين سطور الموتِ والهتكِ والقتل والجرائمِ في صفحةِ الواقع المكدود؛ ولكن بعد فواتِ الأوان، وامتلاكِ العصبةِ الطموحةِ مقاليد الزمان والـمكان.

وخرجت من دائرة التجربة متفائلا بالإسلام ومقتنعاً بفشل التجريب، وملتصقاً بالواقع الملتهب أتكفّأ[1] من حرارة معاناته بمزيد الصبر ودفع القدر بالقضاء والقضاء بالقدر،

مستـ ـميتاً في خندق حياتي الخاصة أحاولُ تـ ـمتين مواهبي الفطريةِ وتحصين متارسي الفكرية،أستشعر الخطر المحدق في كل نبرةٍ أسمعها من عناترة التحول ،وأستلهم الأملَ المغدق في كل صورةٍ من صورِ القَدر المتحول ، مجتهداً حيثـ ـما حللت في ميدان العلاقات العامة والخاصة أن أُنصب نفسي محامياً عن الإسلام والديانة.. وقد كان هذا ديدنُ أبي وجدي وكثيرٍ من أسرتي على مدى التاريخ.

ولا يفوتني وأنا أسجل أسباب تاليف كتابي أن أُشير إلى عمق واقع المعاناة مع أفرادٍ من أقرب الناس إلي مكاناً وعلاقةً ومواطنةً بل رحماً ونسباً، ممن دفع م طوعاً أو كرهاً نحو جحر الضب المتعفّن فصاروا يقلقونني بأحاديثهم وتحدياتِهم ومناقشاتِهم ليلاً و اراً، بل ويدمرون ذاتي تدميراً تنتِثر شظاياه لتعود عليهم حسراتٍ وتأوهاتٍ.

وقد سجلت العديد من هذه المعاناة بالشعر الحديث أو ما يسمى «بشعر التفعيلة» في دواوين المرحلة الحمراء، فقد كان معي
-إلى حد كبير- مساعداً على حفظ أنماط تجربتي الصعبة وقريباً من تركيبات المرحلة وأبـ ـنـ ـيتها المتناقضة. وكأنّ الأصالةَ الأدبيةَ المتوارثةَ أبت أنْ تستجيب لي في نثرِ وقائع الزمان المتهتك؛ اللّهم إلا في حالاتٍ قليلةٍ جداً.

---

(١) أمشي على أطراف أصابعي.

خطورة تلك المرحلة

والحقيقة تقول: إن تلك المرحلةَ كانت جداً خطيرةً، وإن كان الجيلُ الحاضر لا يعلـم عنها شيئاً ما عدا الأسفِ والتعشق للأخبار، ومعطياتِ الإعلامِ وقصص الانتصار.

والجيل المعاصر -وللأسف- هو ضحية الماضي وأمل المستقبل..

أما كونه ضحيةَ الماضي فهو ثـمرةٌ من ثـمار المؤامرة في كافة تركيباته الفكرية والإعلامية والثقافية الرسمية.. ماعدا «التركيبة الاجتـماعية».. فالناس يختلفون حسب مواقع حياة آبائهم الاجتـماعية.

وأما أ م أمل المستقبل فإن مرحلة الوحدة المباركة -وقد انفتح فيها باب الأمل الكبير- أجدى وأجدر أن تتفهم ا الأجيالُ حقائق الخطورةِ المدمرةِ لـماضيهم. وتنفض غبار الغفلات والجهالات عن عقولها، وتقيم علاقا م الاجتـماعية والثقافية الجديدة على أساسٍ من الوعي والفهم والدراسة الميدانية الصحيحة، لا على أساسِ الإتـمامِ لأدوار المسرحيات الماضية.. ولا على أساس الاستجابةِ الآليةِ لأطروحاتِ الديناميكيةِ الواقعية المسيسة.

فعجلةُ التاريخ المعاصر قد تغير مجرى حركتها الإيجابي، وحولت دفعاتِ مسير ا من موقعها الإسلامي السليم إلى مسارب سلبيةٍ خطيرةٍ تدفع بالـمجتـمعات إلى أبواب جحر المسيخ الدجال.

وهذا حديثٌ يطولُ شرحه.. وعلى الراغبين من أجيالنا في معرفة هذه الحقائق؛ أن يعودوا إلى « ثوابت الإسلام » ذاِتها، ونصوص السنة

وآيا ا، وينظروا ويقرؤوا في «علامات الساعة» قراءةً متأنيةً قائمةً على الربط بين الدليل والـمدلول، لا قراءة المثقفين المتفاعلين مع الكتاب والسنة للشهادة والرتبة وخدمات المؤسسات الثقافية والتربوية وشراء الدنيا بالدين.

إشكالية الكتابة في مثل هذه المواضيع

لقد تساءل بعض معاصرينا بعد أن اطّلع على النسخة المعدة للطبع من هذا الكتاب بما يشير إلى استغرابه من مرحلة تأليف «الرموز والأصابع» بقوله:إن خطورة التأليف في هذه المواضيع و ذه الصورة يثير التساؤل من ناحيتين:

الأولى: ندرةُ التعليل والتحليل على هذه الصورة في كتب مدرسة المؤلف. كما أن مرحلة التأليف تشير إلى صراحةٍ وتحد وكشفٍ لـمواقع الرموز والأصابع دون خوفٍ ولا قلقٍ من المؤلف.

الثاني: المعلوم أنه لا يمكن الحكم على شخص إلا بعد أن يواريه التراب، ولا تتـم الأحكام على مرحلةٍ بعينها إلا بعد انتهائها ، والكتاب يحمل ابتداء جمعه وهو ١٩٧٨ م والانتهاء من تبييضه عام ١٩٨٦م، وهذه من أشد مراحل الحرج في جنوب الوطن.

فهل يعني ذلك أن الكتابة كانت متأخرة ووضع التاريخ للإشارة للـمرحلة أم أن هناك إجابة أخرى؟

وأعتقد أن الإجابة التفصيلية على ما ذكر معاصرنا اليوم ستأخذ حيزاً كبيراً من المقدمة إن نحن أردنا تفصيلات المشكلة وجذورها، ولكن كما قال المثل العربي: « خير الكلام ما قل ودل ».

فالتأليف في أي مرحلةٍ من المراحل ليس خطراً على المؤلف إلا إذا نشر الكتاب أو أخرجه للناس، وأما مجرد الجمع لـمواده فلا خطر فيها، وخاصةً لـمؤلفٍ يجوب المكتبات ويعيش بين المدارس والجامعات، ويلتصق في معاناته بجيل الثقافة والـمعرفة يومياً، حيث لا يدرك كل هؤلاء ما يدور ويجول في باطن الموافق والـمعارض.

إضافةً إلى أن المكتبة الإسلامية المعاصرة -مِن وِجهةِ نظَرِي- قد تعرضت لاحتواءٍ خطيرٍ خاصةً فيما يتعلق بشرح المواقف وسياسة التحولات، فغالب من يكتب أو يريد أن يبرز علـماً في التأليف والدراسة إما أن ينافق أهل السياسة، أو أن يلتزم بمسارات البحوث الفكرية المبرمجة في أروقة الجامعات والـمعاهد لنيل الشهادة ويعترف له ا.

ولهذا نجد المكتبة الإسلامية خاصة في محور « التحولات والـمراحل» لا تتحدث إلا بلغة الصحافة والإعلام، وأعتقد أن هذه ثـمرة من ثـمرات الغثاء المشار إليه في الأحاديث، ولا ينطق عن الهوى صلى اللّه عليه وسلـم[١].

---

(١) إضافةً إلى أننا فيما كتبنا لـم نتجاوز تقليد المدرسة الاستشراقية التي ربما كانت أكثر جرأةً منا في تحليل أوضاعنا، والتي لها دور رِيادِي كبير في صياغة مثل هذه التعليلات والتحليلات، فترى « رجال الحركة العالـمية » يصنعونَ الأحداث والأنظمة والدول داخل الجسم الإسلامي ثـم بعد خمسين سنة

أما مدرسةُ المؤلفِ فما هي في مرحلتِنا المعاصرة إلا مدرسةُ تربيةٍ روحيةٍ تعرضت لضغطٍ أكبر من حجمها فكتـمت أنفاسها بين الاحتياط والإحباط .

الكتاب لـم يستوف كل ما في المرحلة

وأما عن كتاب « الرموز والأصابع » فأجزم أنني لـم أكتب فيه كل ما يجب أن يفهمه الخاص والعام عن المرحلة وخطرها، سواءٌ المرحلةُ الحمراءُ منذ بروز التعفنات المرحلية مع أول قرارٍ لإجراءا ا التعسفية، أو ما حاولت إضافته بعد انتقالي إلى خارج الدائرة ذا ا.

فعناصر التأثير وسماسرة التغيير ليسوا من داخل الوطن المنكوب وحده، بل هم في عِلية الحركة العالـمية المعاصرة، والـمتناولُ لأوضاع منطقةٍ بعينها لا يتكلـم -عندما يتكلـم- عن رموزِ الحركة وحدهم، فلربما كان أحدهم مجرد « ظُفْرٍ » في طرف الأصبع يتخلص منه صاحبه إذا رآه بدأ يأخذُ حجماً يتجاوز الموقع المألوف لظُفرٍ فوق أُنمُلَة، وقُلامةُ الظفر -مع اعتذاري- لا تستحق الوقوف والانشغال بشأ ا.

يكْشِفُون أوراقاً خطيرة عن عمالة هذه الأنظمة وجاسوسيتها للسياسة الكافرة، وهم يفعلون ذلك سخريةً بنا ونكاية بعقولنا وقدراتنا.

وأما ما نكتبه هنا فما هي إلا محاولات -إن لـم نقل: يائسةٌ- فهي محاولات ليدرك المسلـمون الهائمون أنا وإياهم في سكرةٍ وثـمالةٍ ينطبق عليها قولُ ربنا: {وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّهِ شديد} [الحج:١] نسألُ اللّه العفو والعافية.

وإنما يكتـم « المؤلف » ما يريد أن يبرزه خشية التجاوز لحدود المألوف عند العقل المعاصر، فالعقل الإنساني لا يقبل الحق ما دام أكبر من قدراته إلا ببرهان، وقد يكون البرهان تعطيلَ أداة العقل بكامل قدرا ا، والإسلام كله بنصوصه وبراهينه إنما خشي على الأمة من خطر الدجل والدجاجلة، ولكن الواقع يقول: إن كشف الدجل والدجاجلة غير مقبول ولا يسلـم به كثير من الناس، بل وحتى بعض العلـماء ومؤسسا م وكتابا م إنما تسير في فلك المسيح الدجال.

فمن يصدق؟ وكيف تقدم البراهين؟..

والله المستعان..

موقفنا من أفراد المرحلة

إنني أعلـم علـم اليقين وأنا أكتب هذه المقدمة أن العديد من عناصر مرحلة التحولات الحمراء قد تفرقوا كأيدي سبأ، ومنهم من قد صار ملتزماً لدينه وربه في أول صفوف المساجد، ولهذا فلا ننشغل بالحديث عن الأفراد، وإنما شغلنا وموضوعنا موقف الأفراد من المرحلة ذا ا،{ومن تاب وعمِلَ صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً} [الفرقان:٧١].

والأفراد الذين أشرنا إلى وجودهم في أول صفوف المساجد هم الذين أصا م الإحباطُ بعد فشل تجربة الإلحاد والإقصاء السياسي، وهم نموذجان:

نموذج صدقت توبته فترك محيطَ الحركة السياسية، واشتغل بما يجب عليه كمسلـم..

ونموذج دفعته عقدته إلى تركيبةِ «الـمرحلة الجديدة ضمن مشروع الصحوة الموسع»، فانطلق في مشروع حقده وتدميره من داخل المسجد ومن فوق المنبر..

وشواهد الحال كثيرةٌ ومثيرة، ولا زال المشروع في أوج نشاطه، والـمستثـمر هو المستعمر، والـمستعمر الأولُ هو المستثـمر الأخير، وما دون ذلك عمالةٌ وجهالة.

وسيرى القارئ في أول كتابنا « الرموز والأصابع » مقدمتين، الثانية كانت عشيةَ المعاناة، ولها نكهتها الخاصة وحالتها النفسية المتفردة، وهي بعنوان: «الفتنة الصامتة» ، والـمقدمةُ الأولى -وهي هذه- معبرةٌ عن المسألةِ بوضوحٍ أكثر وبيانٍ أوعى، وكان لابد منها ليتعرف القارئ على المعاناة التي تؤثر في العالـم والذهن، لأ ا كُتِبت في عهدٍ أكثر حريةً وانطلاقاً وتعبيراً عن الواقع الماضي والحاضر ومجريا ما، وبين المقدمتين أربع وعشرون عاما.

وكان من أهم ما يشغلني بعيد بروز الأمل في الأفق اليمني أن يقرأ الناس «الرموز والأصابع» ويفهموا ما دار في الواقع المنكوب بتـمهلٍ وترو؛ لأن كثيراً ممن يأت لنا معهم المحادثة والـمجالسة خارج الوطن كانوا يستغربون ما حدث في جنوب الوطن آنذاك، بل قال أحد الوجهاء في جلسة عامة كنت أتحدث فيها عن سحل العلـماء وقتلهم: أنت تبالغ جداً، لا يمكن أن يسحل عالـم في مجتـمع إسلامي! ثـم أين الشعب المسلـم؟ كيف يرضى ذا؟ أنت متضرر من سياسة بلادك.. وابتسم كثير من الناس، وللابتسامة معانيها، ولـما حاولت أن

أقنعه

-حسب حجمِه الكبير- قال: أرجو أن تغير مجرى حديثك لنستفيد، فعرفت فعلاً أن الاستفادة لا تكمن في نشر حقائق ما تعلـم، وإنما في مجاراة العقل الهائم فيما يعيش ويتوهم، وهذه علتنا اليوم كعلـماء.

عقبات أخرت نشر الكتاب

وقام أحد المعجبين بالأعمال الكتابية وبموافقة الدعوة الإسلامية باستئذاني في تجهيز الكتاب للطباعة، وأعطيته النسخة الأصل التي كتبتها بيدِي على أن تصور أولاً ثـم تصف وتجهز، وطالت الأيام بما فيها من تحولاتٍ وتغيراتٍ، وحاولت عبثاً أن أحصل على جوابٍ شافٍ في شأن الكتاب، وكان الجواب متناقضاً، حتى ثَبت لي بعد عامٍ أو زيادةٍ أن الكتاب فعلاً ضاع في ظروف غامضة، وعندما ذهبنا إلى عنوان المكتبة ذا ا وجدنا أ ا اـم تعد مكتبة، ولـم يكن ا من يعلـم عن الأمر شيئاً.

وأحسست بألـمٍ شديدٍ وأسفٍ على ضياع مجهودي الكبير في هذا الكتاب، مع أني قد تعودت على مثل هذه الأحوال وضياع المؤلفات في ظروف غامضة.

والشيءُ بالشيءِ يذكر، ولعل أحد القراء سيتذكر هنا ما أقصد فيعِيد لي شيئاً مما فقدته، وهو أن كتابي في « تاريخ مخلاف أحور » ، بذلت فيه جهد السنوات الطويلة، ولا أذكر كيف ذهب عني من الأصل الجزءان الأول والثاني، وبقي عندي مجرد الصورة للجزئين فقط، وحتى هذه اللحظة لا زلت أعاني من إعادة ترتيب الصور الأصلية التي ذهبت معه، وتأخر إصدار الكتب بسبب ذلك.

وأعتقد أن أحدهم طلبه ليصوره وألحّ علي في ذلك وطالت مرحلة التصوير، وقال لي: إنه متأكد من إعادته لي، والله أعلـم.

ولـما عدت إلى اليمن بعد الوحدة المباركة وهيأ الله الاستقرار في الوطن ألح علي بعض الراغبين في الاستفادة والتوثيق أن أعيد الكتاب وأجهزه للإخراج، فقمت بجمع مسوداتٍ فاستنفدت مني وقتاً ليس بالقليل، وزدت فيه بعض الحواشي والتعليقات كما ذكرت سابقاً، وأسأل الله أن يجعله نافعاً مفيداً وسبباً لإيضاح الحق في عصر الغفلات، ومثالاً تاريخياً بعيداً عن المصالح والانفعالات، والله من وراء القصد.

ومما زدته تقرير لأحد المستشرقين الذين زاروا عدن عام ١٩٨٨م ، وقد حصلت عليه من بعض المهتـمين بشؤون اليمن، وقد وجدت فيه برهاناً «عالـمياً» على لغة السياسة يؤكدها ما أشرت إليه في الكتاب من أن الغرب يهمهم كثيراً أن يعيش المسلـمون غرباءَ في أوطانهم أَذِلاَّءَ في حياتهم، فنقلت منه الكثير والكثير.

وعدنٌ المعشوقةُ ظلّت عبر التاريخ الطويل لليمن هدفاً لغزاةِ الـمال وعشاق اللذةِ والتسلّطِ والاحتلال، ومن خلال من سار عليها ووفد إليها وعاش فوقها من أفواج الغرباء والخطباء يدرك المتأمل خطر العشاق وبلاءَ الاحتلال والاسترقاق.

كما ألحقت بالكتاب قصيدتين على النمط التفعيلي، كانت الأولى عقب خروجي من الدائرة الحمراء عام ١٤٠٣ هـ ، والثانية بعد أن دخلت سجن الحضارة الواسع عام ١٤٠٦ هـ، وقد وجدت نفسي حراً ليس بطَلِيق، وطليقاً لا يمتلك قسطاً من الحرية، وفي كلتا المرحلتين

كنت أنا المستفيد من سِجنِ الانطلاق ومنطلقات السجون؛ لأنني لا أبحثُ عن طموحٍ، ولا أنطلق من عقْدة.

وكانت تهمتي في الدائرة الحمراء.. بالكهنوت..

وتهمتي في الدائرة الخضراء.. بالصوفية..

وكلتا التهمتين وليدةٌ لرؤيةٍ واحدةٍ، وتستثـمر محاكمتها جهةٌ واحدة.

الغرض من شعر التفعيلة

وكان غرضي من « أسلوب التفعيلة » في الشعر التوثيق السريع بالأسلوب السهل؛ لأني لا أفكر في المسألة الفنية والقواعد العروضية أمام الحرب الإعلامية والهجمة الهلامية، وعلى النقّادِ الأفاضل أن يعذروني في موقفي هذا، إذ كنت خائفاً حينها على صلب العقيدة والإسلام، ولـم أنتبه إلى لغة العبارة والكلام؛ وإن كانت فعلاً مهمةً جداً عند النظر في أساسات علاقا ا بالقرآن والسنة ولغة الأمة.

والنظر الرأسي للأمور قد يفقد التوازن في مدلول الرؤية الأفقية.. ولكل أجلٍ كتاب، وهاأنذا اليوم وبعد أكثر من ربع قرن أُقلب أوراقي القديمةَ فأتذكر المواقف، وما أعجبها من مواقف!

وإذا كان كتاب « الرموز والأصابع » يعبر عن تجربةٍ مرحليةٍ إلى حد ما؛ فإن الأوراق الذاتيةَ تعتبر عصارةَ مرحلةٍ ضاقت فيها مدلولات الانتِـماء، وخذ مثلاً شعرياً كتبته في رمضان ١٣٩٨ هـ / أغسطس ١٩٧٨ م:

حتى لو شِئنا أنْ نكْتب — ماذا يا صاح ترى نكتب؟

آمالٌ ترسف بقيودٍ — ويراع الحِبر بدا ينضب

يتراءى الأُفْق بلا أملٍ — سحب الإسفافِ هنا تحجب

شفَق محمر مكْتئِب — وطيور الصبحِ بدت تغرب

تتوارى تفْتح للخفّا ... ش كذا للبومِ لكي ينعب
لو كان لنا أمر صِرف ... لَنشرنا فعلاً ما نكْتب
لو كان لنا ضِلْع حِب ... وكذلك مسؤولٌ يخطُب
لَتصدر شِعري صفحاتٍ ... وبخط حجمه لا يغرب
لكن ولأني مِسكِين ... فمِياه لساني لـم تعذُب
وعيوني تنهش أبعادي ... نفَسِي يتقطّع أو يهرب
ومسيري جرح أقدامي ... والدم على عقِبي يسكُب
فجئـمت سكنت ولا أدري ... أسكُوني يكْشِف أو يحجب؟
ألْهثُ أتفانى في ألـمي ... وخسِرت وها أنذا أندب
سيراجِع شِعري مسؤولٌ ... فيقول: ترى ماذا يطْلُب؟
أيريد العصر يحنطُه ... أم زخم العصرِ له يصلُب؟
ويحرك رأسه منفَعِلاً: ... أرفض ذا رفْضاً بل أشجب
شِعر عاجي لا يجدي ... وكلام أدمغه أشطُب
أمر رسمي في عجل: ... (الشاعر هذا لا يكْتب)
وعلاجه سِجن أبدي ... في لُجةِ بحرٍ أو في جب

وفي موقف آخر بنفس التاريخ:

لَو جِئْت ترى ما نحن نرى ... ما نحن نِعيش وما نقْرا
لَلـمست شواغِفَنا الحَرا ... ورأيت خطى ورؤى أُخرى
لَعرفْت سفَاسِفَنا الحَمرا ... وحياةً ترفُلُ بالإِغْرا
لَرأيت الناس هنا سكْرى ... وكأنّ عذَاب اللّه جرى
أسرى في الفِكْرِ وفي الذكْرى ... ومفَاهِيم لَقَد دخلَت قَسرا
فلِـمن أكْتب أو من يقْرا؟ ... ولـمن أصرخ في ذي الصحرا؟

مات الإيمانُ بأُمِتنا — فتداعتنا أُمم أُخرى
واختلَطَ النافِع بالـ مزري — فانساق الناس إلى الإِزرا
سكِروا بالعصرِ وخمرتِهِ — فمضوا يهذُونَ وهم سكْرى
طَمِحوا فتنادوا في صخبٍ — يسعونَ لتجرِبةٍ كُبرى
وبدا في الْأُفْقِ لَهم شفَق — كالعارِضِ يظْهر مغبرا
حسِبوه زلالاً فابتهجوا — فارتد لَهيباً محمرا
ِمتنا مراتٍ وقُبِرنا — لكن في الدنيا لا الْأُخرى

وفي ٢٧ شوال ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨/٩/٢٩م) وبعد نقاشٍ محتدمٍ في إحدى المدارس الثانوية، في أثناء الكلام عن النشاطِ الإعلامي وما يجب أن نفعله قلت:

اُتركُوني..
ودعوني في رِحابِ الكَونِ ترتاح عيوني..
أملأُ الأحداق من ماءِ الجفون..
مِن خِضم البحرِ.. مِن نبضِ العيون..
اُتركوني أتفانى..
في ذَواتي.. أدواتي..
في كِتابي.. ودواتي..
وفُنوني..
أذْرع الأرض لوحدي..
أتغنى.. أ نى..
بشجوني..
أكْتب الشعر لنفْسِي..

ظلموني..
نرجسي إنْ أردتم ..
وضعيف في شؤوني..
أطْلقُوني..
لا أريد العيش في كل السجون..
ليس في نفسي بقايا من نشاطٍ..
فاتركُوني..
ساءَ هضمي..
رق عظمي..
هانَ عزمي..
جرح العصر سِنوني..
لم أُطِق لَوكِ الحروفِ..
في اجتماعاتِ الشؤون..
لم أُطِق..
أخشى جنوني..
كل أعصابي تهاوت..
يا أعزائي دعوني..
رحِم اللّه زماناً..
فُرحت فيه عيوني..

عدن - الجمعة
١٤٢٢/٤/٢٩ هـ

٢٠٠١/٧/٢٠ م

الفتنة الصامتة..

تتكرر الأحداث، وتتشابه الوقائع عبر العصور والأزمنة، وتتجدد القضايا في أمة بعد أمة؛ تصل آخرها بأولها، وحاضرها بماضيها؛ وربما أعطى جديدها بعثاً لقديمها كما جرى ويجري في ساحة وطننا المنكوب ؛ والخبير المطّلع على خفايا الأمور يظهر له وضوح التشابه، وأن الفرع من الأصل، مهما حاول المَعنِيون بالأمر إضفاءَ المساحيق والألوان على سير سياسا م، ومخططات أفكارهم وآرائهم.

نعم.. إنني اليوم في مرحلةٍ عصيبةٍ من تاريخنا المعاصر دفعتني أن أجثو بين كتبِ التاريخ، وأتأملَ أحداث اليوم، وأجمع من خلال المقارنة خيوطَ المواقف المتشا ة، وتسلْسلَ الأحداثِ المتشابكة ؛ حيث إني كلـما حاولت أن أجد مبرراً مقبولاً لـما أراه من مسخٍ فكري، وأملٍ مسرحِي، في مفاهيمِ وتطبيقاتِ المفكّرين والـمنظّرين المعاصرين، وخاصة في مسائل رسم خطوط العالـم الإنساني، وعلاقته بالـمناهج الشرعية المتوارثة ؛ كلـما حاولت ذلك يرجع البصر حسيراً.

وبديهةً أجد نفسي -بطبيعة المواقف ذا ا- أربط بين هذه المفاهيم والدعوات الجديدة، وبين الفرق والجماعات القديمة في التاريخ ، ذاتِ المواقفِ الحركيةِ المدمرة.

إنني في موقفي الفكري والتحليلي أنطلق من رؤيةٍ إسلاميةٍ صِرفة، على قَدرِ ما عرفت ووعيت ؛ واضعاً نصب عيني سلامة المنهج الشرعي الذي وضعه اللّه لصلاح خلقه، وبعث من أجله ولتطبيقِه خِيرةَ رسلِه، مستشعراً أن هذا المنهج الشرعي لـم يتح له ا ال الكافي في الواقع الإنساني ليعطي ثِـماره كاملةً، بل تعرض للاختناق مرةً بعد مرةٍ، حيناً على أيدي أهل المصالح والنفاق ؛ وحيناً تحت ضربات الكافرين من اليهود والنصارى ومشركي العرب، وأحياناً يبرز الاختناق على صفةِ تعاونٍ مشتركٍ بين هذه القوى المتآمرة.

لقد وجدت نفسي وأنا أقرأ وقائع التاريخ، وما يحويه من زخم الصراعات، والمنازعات، والنداءات المتباينة ؛ وجدت نفسي أتعاطف - إلى حد كبير - مع الذين حملوا القلم والسيف لإحباط الشذوذ الفكري ودعاته ، على ما فيهم من عِلاّتٍ ومآخذ.

كيف لو أتيح المجال لتلك الفرق الغريبة -ذاتِ الرؤى الانفعالية- أن تمد يدها إلى عنق الأمة ومصيرها الغائي منذ عصر صدر الإسلام ؟

نعم، لا شك أن خطرها سيكون أشد من خطر الولاة المسلمين الذين غيروا -بوعيٍ، وبغير وعيٍ- أساليب السياسة والاقتصاد والمعارف.

فالمارقون الحركيون كانوا يمتلكون عقدة الحقد على نصاعة الإسلام، وشمول رؤيته، أما الولاة المسلمون فيتعاطفون -إلى حد ما- مع الإسلام عقيدةً وفكراً وغايةً؛ لكن أسلوب التطبيق أوقعهم في أتون الفشل؛ لغلبة المصالح والرغبة في السلطان.

فالعصر الأموي والعباسي كانا عصرين مزدهرين بالأفكار المتنوعة، والثقافات المتداخلة، والمصالح المادية المشتركة، ومن داخلها لعبتِ الآراءُ الدخيلةُ دورها المؤثر في صلب الفطرة الإسلامية، حتى فُصِل الدين عن الدولة من حيثيات القرار، أما من حيثيات القضاء والاحتكام فلا .

وقد أدى هذا -فيما بعد- إلى فصل علماء الدولة عن علماء الشعوب، وصار علماء الشعوب يقصرون النظر على بناء الروح في معركة الحياة، أو بناء الهيكل العلمي والنظري، بينما علماء الأنظمة يحصرون اهتمامهم بتبرير سياسات الدولة، وتخريج مواقفها المحرجة.

وكلا الفكرتين - أو التيارين - سارا متجاورين في مسيرة الحياة الإسلامية، بمختلف مراحلها وتحولا ا، ومعها تيار ثالث يتحرك في الظل حيناً، وحيناً يبرز إلى ساحة الحياة مثْخِناً تركيبات ا تـمع بالآلام والجراح والـمشاكل ؛ إنه تيار النفاق، وسياسة الارتزاق.

لقد كانت ثـمرات هذه المسيرات المتجاورة على أرض الواقع الإسلامي ظهور ألوان شتى من الأفكار، وال عات، والتطبيقات، والتجمعات الفئوية؛ لتكون رأس حربةٍ في المسيرة السياسية المنحرفة، فحرب من أجل آل البيت حيناً، وحيناً يكون الوجه المعاكس ؛ وحيناً نصرة الدين الحنيف، ومساواة الأمة، وحيناً الوجه المعاكس فيه .

بينما آخرون خلدوا إلى السكون، وتركوا الأمر - بكل علاته ومتناقضاته - لـمن يقول للشيء : «كُن» فيكون، وأشاعوا في حظائر سيرهم العلـم والعمل به. وشغلوا أتباعهم بمعركة المعرفة الإسلامية من حيث التشريع وقواعده؛ لا من حيث التطبيق السياسي؛ وأعتقد أن هذا التيار قد حافظ على لب الإسلام في معركة العقيدة الطويلة إلى حد كبير.

هكذا كانت حصيلة مطالعاتي المتعددة في كتب المسيرة الإسلامية. وكلـما رفعت رأسي وأطللت على الواقع الذي أعيشه وأتفاعل معه ؛ برزت نماذج التشابه والتطابق، فينفتح في الذهن معنى البيت الشعري:

- ما أشبه الليلةَ بالبارحةْ -

والليلةُ مأساةٌ أعيشها، ويعيشها جيل العصر الحديث ؛ أما البارحة فلا مجال لـمعرفة الأحداث إلا من خلال القراءة المتأنية في كتب التاريخ.

ولهذا بدا - لذهني القاصر - أن أحملَ هم عصري، وأحداثِه الدامية، وانفعالاتِه الحامية، وأركب متن كُتب التاريخ؛ لأتعرف على مجارِي الدم المشترك، ومشاتلَ الانحرافِ المتشابه، وبدأت أرسم الخطوط.. وأسود صفحاتِ المخطوط.. وبالله التوفيق..

عدن - الجمعة
١٣٩٨/١٢/١٧ هـ
١٩٧٨/١١/١٧ م

قرامطة الأمس .. قراصنة اليوم ..

قيل: « إن القرامطة ينكرون الرسل والشرائع كلها، وإ م تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً، فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والـمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سرهم بغير عهد ولا ميثاق ؛ وزعموا أنه من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وحملوا اليقين على معرفة التأويل » [1].

هكذا كتب المؤرخون عن « القرامطة الآباء » ، واعتنى الأبناء بالقرامطة لترتقي إلى المستوى العالـمي، فقال عنها مؤرخوالفلسفة المادية: إ م - أي القرامطة - مؤسسو قواعد النظام الاشتراكي في العالـم، وموقع التشابه يلتقي عند المفهوم القرمطي:
« إن الشرائع الم لة لا تليق إلا بطبقة العميان والحمير » . والعميان والحمير - في التعليلات القرمطية - هم المؤمنون بالدين ومعتقداته وشرائعه . لـم يفقهوا حقيقة الدعوة فصاروا عمياناً، ولـم يدركوا - لسذاجتهم وضعف إدراكهم - اكتشاف السر الحقيقي من التشريع ، فهم « حمير » . ولذلك فقد تأول « القرامطة الآباء » شريعة القرآن، ومسخوها نصاً وروحاً.

أما قراصنة اليوم فقد نافحوا عن « الأصول القرمطية » ، فقال أحدهم :
« إن حقيقة السياسة القرمطية قد ضاعت بضياع مؤلفا م المرتبطة بالأنظمة الحاكمة آنذاك، وهي لا بد أن تكون حملات تشكيك وتلفيق تاريخي، وعامل افتراء ضد الفرق المخالفة للسياسات العربية الإسلامية القائمة آنذاك» [2].

---

(١) « الحركات الفكرية في الإسلام » لبندلي جوزي ص ١٣٧.

(٢) نقلاً عن محاضرة ألقاها أحد القادة الشيوعيين في جامعة عدن.

والحق دائماً يضيع بين الإفراط والتفريط ؛ ولكن الواقع ذاته برهان قاطع، ومفاهيم السياسة المتداولة في الصحف والمحاضرات والأجهزة، وفي النقابات والإدارات والمدارس وإعداد المناهج، وفي الحياة الشخصية لرموز « القرمطة المعاصرة»، ومناقشتهم تعكس الحقيقة التي كان عليها القراصنة الأبناء.

ولقد بعث الله من أهل العلم والقلم في عصر القرامطة الآباء من يضع النقاط على الحروف، كالإمام ابن حزم الذي قاتلهم بلسانه فقال : « جملة الخبر كله أن تلْزموا ما نص عليه ربكم تعالى في القرآن بلسانٍ عربي مبين، لم يفرط فيه من شيء، تبياناً لكل شيء، وما صح عن نبيكم برواية الثقات من أئمة الحديث رضي الله عنهم؛ واعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن له، وجهر لا سر تحته، كله برهان ؛ واتهموا كل من يدعو إلى أن يتبع بلا برهان، وكل من ادعى للديانة سراً أو باطناً؛ فهي دعاوٍ ومخارق.

واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتم من الشريعة كلمةً فما فوقها، ولا أطْلَع أخص الناس به، من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحبٍ على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ؛ ولا عنده - عليه السلام - سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئاً لما بلغ كما أُمِر، ومن قال هذا فهو كافر » .

وأما القراصنة الأبناء فمن يقف في وجههم وقد امتلكوا ترويض « العميان والحمير» كما يصفهم القراصنة الآباء ؟ يقول فيهم الشاعر الرمز [1] :

ودار بنا الكون دار ..
« ولا الليل سابق النهار، وكل في فلكٍ يسبحون » ..
وظلت أحلامنا في انشداد..لجنة إرمٍ ذاتِ العماد ..

---

(١) الشاعر الرمز هو « ذو يزن » ، منظر الحركة المادية الماركسية باليمن في المرحلة الحمراء.

بعثتها الرياح .. الرياح .. الرياح .. إلى نصف عالـمنا البشري ..
بحمر النجوم مزينة .. عقيق قلادة كوكبنا ..
ودار .. ودار .. بنا الكون دار ..
« إذا اقتربت الساعة وانشق القمر » ..
هنالك جنةٌ تنتظر ..
« جنةٌ عرضها كعرض السموات والأرض » ..
فليس هناك جحيم إذن ؟!
لا ..
شبعنا كلاماً عن الشبع حتى النخاع .. يئسنا من الفرح حتى السأم ..
مراراً قُتلنا .. مراراً بعثنا ولـم ننتحر .. وما حولنا ظلام.. ظلام..
فها الداء ينهش في نصفنا العلوي .. وتلك النفوس المريضة ..
قد أنكرت جلدها .. سلخت جلدها .. تخلت عن الأرض ..
عن ..
حلـمنا الأزلي .. جنة .. جنتان .. بحفنة مال بحفنة مال ..
وبين يديها كنوز الذهب ..
ونامت بحضن القرود .. ووهم السراب .. وما حولنا ..
ظلام ... ظلام ..
والأرض عطشى ..
للسيف .. والـماء ..
الأرض عطشى ..
لـمن في حنين يضاجعها .. بذورا .. يحيل كنوز بكار ا .. جنة ..
لت اح موتاً عذاباتنا .. وفي قبرها نتوج عرساً لأفراحنا ..

وتسقط أوهامنا السالفات ..
جنة الانتظار .. فهذا الخيار ..
اختبار لنا .. وأي اختبار ..

هكذا يفكر الشاعر الرمز، والحاكم الرمز، والحزبي الرمز ؛ ويجب أن يفكر الجميع هكذا، فمرحلة القرمطة المعاصرة لا تقف عند التأويل والتشكيك ؛ وإنما هي مرحلة التجذير والتغيير. إ ا مرحلة بتر وسلخ ومسخ للدين من جذوره، وللشريعة من مكامنها، وإنكار وجحود للغيب والقرآن والجنة والنار والحساب والعقاب، لتصبح الجنة الموعودة في الأرض وحدها.

وهذه فلسفة المادية الدياليكتيكية، ودعوة الشيوعية العالـمية حيثـما نزلت وحلت؛ وفي سبيلها تصدر الثورات، وتدعم الانقلابات، وتزعزع الأنظمة، وتستهلَك الشعارات. وهكذا كان القرامطة الآباء في عمق التاريخ « بدؤوا يرسلون دعا م إلى أطراف الخلافة العباسية لبث دعو م السياسية، ونشر تعاليمهم الدينية والاجتـماعية، التي أخذت تختلف رويداً رويداً عن الدين الإسلامي، بل عن الدين كله، لـما أخذ يتسرب إليها من العناصر الغريبة، والآراء الفلسفية، حتى أصبحت
- بعد زمن قليل - مذهباً ؛ بل ديناً قائماً بذاته » (١).

والقراصنة الأبناء لـم يألوا جهداً في بعث الأتباع والأشياع في جوانب الأرض داخلاً وخارجاً؛ لتعميق روح الصراع، واجتثاث العلاقات الاجتـماعية المتوارثة، وطمس التركيبات الأسرية، وسلخ الابن عن أبيه والفتاة عن أسر ا، تحت مفهوم الانسلاخ الطبقي.

---

(١) « الحركات الفكرية في الإسلام » لبندلي جوزي ص ١٣٧.

لـم تخسف الشمس.. ولـم تقم القيامة..

كان يوماً رهيباً في الحجاز على عهد القرامطة الآباء، وفي اليمن كان يوماً رهيباً على عهد القراصنة الأبناء.

مكة والحجاز عام ٣١٧ هـ ـ ٩٣٠م

كان أبوطاهر وأصحابه على أبواب مكة ؛ وأميرها وجماعة من الأعيان يستعطفونه فلـم يوفقوا؛ فدخل مكة، وأخذوا يقتلون أهاليها وحجاجها من رجال ونساء، وهم يتعلقون بالكعبة ؛ وردِمت م زمزم، وفُرش م المسجد ؛ وقُتِل نحو ثلاثون ألفاً، وسبي النساء، والغلـمان مثل ذلك، ودكت أركانُ الكعبة، واقتلعوا الحجر الأسود، وأخذوا كل الأموال التي بداخل الكعبة [1].

وقد حدث ابن الجزار عن رجل ثقة أن أحد أصحاب أبي طاهر دخل الحرم، وسأل رجلاً جريحاً قائلاً :

- أتعرف سورة الفيل ؟
- قال : نعم أعرفها.
- قال : أين الأبابيل ؟
- حيث شاء ربك.

(١) بقي الحجر الأسود في مدينة الإحساء بيد القرامطة حتى سنة ٣٣٩هـ، ٩٥٠م، ثـم أُعيد بأمر الخليفة المنصور الفاطمي الذي كان بمصر، وكان القرامطة يظهرون له الولاء . وورد في كتاب « قواعد آل محمد » ص٨٨ أنه أُعيد لخمسٍ بقين من ذي القعدة سنة ٣٣٩هـ حين ورد عليهم رسل ابن ياقوت التركي .

- أيها الحمير.. إنكم تسجدون للحجارة، وتطوفون حولها، وترقصون إكراماً لها، وتـمسحون ا وجوهكم ؛ وفقهاؤكم الذين تتفقهون عليهم لا يعلـمونكم شيئاً خيراً
من هذا، فلـم يبق لـمحو هذه الخرافات إلا هذه السيوف[1].

هكذا صنع القرامطة الآباء، أما قراصنة اليوم فقد كان بودهم لو أن أمر الكعبة -وما حولها- آل إليهم ليعيدوا الكرة بأبشع من الأولى، وقد فعلوا قريباً من ذلك يوم وجدوا الوطن المبارك به بصيص من الديانة الإسلامية، وبه من بقايا الأربطة والزوايا العلـمية والـمدارس والشخصيات الإسلامية من ينشر الدين، تقوم بإرشاد الجهال، وهداية الضال، وليس لهم في السلطان رغبة، ولا في المال طموح بعد أن تنكر الواقع كله لأهل الدين والعدل، فحاص القراصنة في ساحة الوطن حِيصة الحمر، وخلطوا بين التركيبات المتوارثة كلها سلطاناً وديناً ودعوة وتجاراً وملاّكاً، وافتعلوا سياسة «الانتفاضات الفلاحية» عام ١٩٧٣م . فشملت أرجاء الوطن حملات الإرهاب ومسيرات الكادحين « الطبقات الرثة » التي أدت إلى اختطاف أو إعدام العشرات من الحكام والعلـماء والـمشايخ ورجال القبائل والقادة في ظروف محاطة بالإرجاف والإحجاف.

وكتبت صحيفة الدولة الرسمية المسماة « ١٤ أكتوبر » صباح يوم الثامن والعشرين من رجب ١٣٩٢هـ بعد أن فرغت القوى الكادحة من قتل وسحل بعض

---

(١) ورد في كتاب « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » لـمحمد بن حسن الديلـمي ما مثاله :
أن طاهراً الجنابي - بعد أن استحل حرمة الحرم المكّي - قال شعراً :

ولو كان هذا البيت للّهِ ربنا ... لَصبت علينا النار مِن فَوقنا صبا
لأنا حججنا حجةً جاهِلِيةً ... محلّلَةً لَـم تبق شرقاً ولا غربا
وأنا تركْنا بين زمزم والصفَا ... جنائِز لا تبغِي سِوى ربها ربا

العلـماء[1] وهدر دمائهم بصورة بشعة ومقيتة ؛ تقول : «لـم تخسف الشمس، ولـم تقُم القيامة»؛ وتحت هذا العنوان أخذ صحفي مأجور يفتري الأقاويل والأكاذيب في حق الصالحين ورجال العلـم والشهداء.

وارتجت المنطقة، وارتجفت العباد، وحراب « القراصنة الأبناء » تأكل الأخضر، واليابس ؛ وهرع العلـماء من مدينة إلى أخرى باحثين عن مأوى يحفظهم من الأيدي الآثـمة، ومنهم من اختطف إلى الأبد[2]، ومنهم من حددت إقامته بما له [3]، ومنهم من أودع غياهب السجون [4]، ومنهم من دارى ودارى ، حتى أذن اللّه بالنجاة فتوارى.

---

(١) كان من أكابر العلـماء الذين استشهدوا في ذلك اليوم : السيد الشهيد العلامة أحمد بن صالح بن عبد اللّه الحداد من نصاب والعوالق العليا ، والسيد الشهيد العلامة أحمد بن عبد اللّه الكعيتي المحضار من حبان بلاد الواحدي ، ومنصب آل العيدروس صاحب الحزم.

(٢) خطف في هذه الفتنة السيد العلامة الشهيد محمد بن سالـم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالـم، ولـم يعرف خبره بعد ذلك ؛ اختطف بمدينة تريم قرب صلاة الجمعة عندما خرج من الجامع، وترك شاله وذهب إلى قصر الحكومة للتوقيع المعتاد، ولـم يرجع بعد ذلك.

(٣) حددت إقامة العديد من علـماء حضرموت، ومنعوا من السفر عن بلادهم، وأُلزِم العديد منهم بتحضير نفسه يومياً في مركز الشرطة، كان منهم السيد العلامة محمد بن علوي بن شهاب الدين، والسيد العلامة عبد القادر بن أحمد السقاف، والسيد العلامة أبي بكر العطاس بن عبد اللّه الحبشي، والسيد محمد بن أحمد الشاطري، والسيد سقاف بن زين بلفقيه، والسيد سالـم بن عمر السقاف.

(٤) منهم السيد عبد القادر بن أبي بكر المشهور، والسيد المنصب شيخ بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالـم، والسيد عبد الرحمن السري، وأما السيد سالـم بن عبداللّه الشاطري -وكان في عدن- فقد داهمته سيارة وهو يسير في الطريق بعد أن خرج من المسجد، وسلّـمه اللّه من موتٍ محققٍ ومكث في المستشفى مدةً طويلةً ثـم سجن وعذّب، وقد تناول أحداث الإيذاء في مذكرةٍ كتبها بنفسِه تحت عنوان «قصة سجني ومحاولة اغتيالي بعدن» ، كما فعلوا مثل

لقد كانت أياماً رهيبة، وأسابيع عصيبة، بلعت في بطنها مذبحة من أشرس المذابح في تاريخ التحولات السياسية في العالـم الإسلامي.

إ ا تذكرنا بما صنع قراصنة الثورة البلشفية ومهندسو الثورات الحمراء في العالـم عشية امتلاكهم قرار المقاطعات الإسلامية في روسيا.

لقد ابتدأ الهجوم المباشر ضد الدين الإسلامي عام ١٩٢٨م وطال حتى إعلان الحرب العالـمية الثانية، وتـميز بإدخال معظم المساجد التي كان يربو عددها عن ٢٦,٠٠٠ مسجداً عام ١٩١٢م، ويشرف عليها ويتولى الإمامة والتدريس فيها أكثر من ٤٥,٠٠٠ رجل دين ؛ ولـم يبق منها سوى ألف مسجد عام ١٩٤١م.

وأخيراً بدأت عام ١٩٣٢م الملاحقات ضد رجال الدين، والـمؤمنين من المسلـمين بتهمة الطفيلية، وعرقلة مسيرة الثورة ؛ ثـم ا موا بالعمالة والتجسس لحساب أمريكا وألـمانيا وإنكلترا.

وقد كُلفت النقابات العمالية، والـمزارع الجماعية، وفروع معهد (ماركس، وإنجلز، ولينين) في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي بتنظيم دورات لـمحاربة الدين، ونشر الإلحاد، وإخضاع الأطفال منذ دخولهم روضة الأطفال في سن الثالث إلى آخر مراحلهم الدراسية الجامعية لحملات منظمة لزرع الإلحاد، ومحاربة التدين.

ذلك مع الشيخ العلامة محمد بن علي باحميش، وظل متأثراً بجراحه الناتجة عن مداهمة سيارةٍ مجهولةٍ له وهو بجانب مـ له حتى مات.

سنبدأ من حيثـما وقف الرفاق

كتب الشاعر الرمز قصيدته المعروفة باسم « الكتابة بالسيف » ، وهي نمط جديد من الشعر الخارج عن القواعد المألوفة لدى الشعراء، والشاعر له مركز مرموق في الكف المتحركة، ومن خلال معاناته ومادة فكره وسكره كتب لأمثاله يقول :

هذي المرايا التي أثخنتها الجراح.. ضريبة أحلام راياتنا الحمر ..
باقات أشواقنا البيض.. واخضرار الأماني .. شواطئ آفاقنا..
في حيرة الليلة الزائفة..
لذا قالوا: إني داعي النبوة.. للكفر، والبدعة، والزندقة ..
لأني لفظت سمو الطوائف.. مفخرة الابتزاز..
حيث ترزق الآلهة من تشاء.. بغير حساب..
في سفرة الميمنة..
وذوبت أحشاء روحي.. مع البسطاء.. غذاء لشمع النهار..
البشارة..
في جبهة الميسرة..

وجبهة الميسرة - كما يتحدث عنها الشاعر - هي القرمطة المعاصرة ؛ والكتابة بالسيف حديث معصرن لعمرو بن معدي كرب الزبيدي [1] الثائر اليمني المعروف المتـمرد على فساد وهيمنة الارستقراطية الإقطاعية للسلطة الإسلامية، والداعي المادي للعدالة الاجتـماعية كما هو مشار إليه في حاشية القصيدة.

---

(١) سنتحدث في صفحات الكتاب القادمة عن قصة عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ومدلول الرؤية التي عولجت ا قضية العدالة الاجتـماعية ، انظر ص٩٠.

والـمتأمل لهذه الهرطقة الخرقاء يعلـم كيف كانت العقول الحمراء تؤسس ا د المادي للعدالة، وكيف تعبر عنها من خلال فهمها الأخرق للإسلام.

وقد سئل الشاعر ذاته يوماً خلال مرحلة السطو المبكر أثناء مؤتـمر صحفي عن مسيرة الثورة، ومستقبلها فقال : « سنبدأ من حيثـما وقف الرفاق » .

والرفاق - من هذا المدلول - هم قراصنة الحاضر المعاصر، والثورة في الوطن ليست نقطة بداية للتجربة الشيوعية العالـمية، بل هي منطلق جديد لها.

ولـما سئل رمز آخر - بعد أن انكشفت العورات الثورية ونكص على عقبيه - قال: «الثورة تأكل رجالها !! »..

وخلال مرحلة أخرى - وقد تقاذفت الأمواج عباقرة التنظير، وقادة التشطير، سئل أحدهم -وهو في دولة خارج الحدود - فقال : « الثورة يخطط لها العباقرة، وينفذها الشجعان، ويرثها الأنذال » ، وهي مقولة لأحد زعماء الشيوعية.

لقد كان المقام لأولئك مقام حذلقةٍ وتطاولٍ وجهلٍ بالأحجام الذاتية وبالواقع الاجتـماعي والاقتصادي، فضلاً عن الواقع الديني والثقافة الإسلامية.

لقد كانت عقدة تـمرد بدأت بالوطنية، وانتهت بالعمالة للقوى الأجنبية، وكان واجباً على من دفع بالعقول إلى ميدان المعركة أن يضمن للـمخذولين منهم خط الرجعة الأخير، ولو بحفظ ماء الوجه ومصروفات الجيب.

التربية والتعليم.. دمار لا إعمار..

« واعلـم أنني قد أحللتك بكتابي هذا من عقالك، وأطلقتك من قيادك، وحل لك -ولـمن في درجتك- ما هو محظور على هذا العالـم المنكوس، وأنا مخاطبك في

هذا المعنى بمثل ما خوطب به محمد بعينه حين ارتقى إلى م لتك، وهو { اليوم أُحِل لَكُم الطيباتِ } [المائدة:٥] ».

هكذا يقول الشيخ في مدرسة القرامطة الآباء لتلـميذه، وكان أولئك لا يمنعون أحداً من إقامة الصلاة، أما هم فلا يقيمو ا [1].

والقرامطة الآباء ليس لهم مسجد يصلون فيه الجمعة على حد ما وصفهم به كتاب «سفرنامه» لناصر خسرو بعد زيارته لدولتهم في الأحساء والبحرين عام ٤٧٣ هـ (١٠٥٢م)، أما قراصنة اليوم فهم ينفذون المناهج الغربية والشرقية في التربية والتعليم المعاصر، والتي حملت على عاتقها مهمة تذويب الشخصيات المسلـمة من داخل «الـمدرسة».

كتب المستشرق المبشر تكلي: يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلـماني، لأن كثيراً من المسلـمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلـموا اللغات الأجنبية.

ويقول المستشرق زويمر: ما دام المسلـمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلـمانية، ونسهل التحاقهم ا ؛ هذه المدارس التي ستساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب [2].

هكذا تتفق العقول الكافرة والـمنحرفة ضد عقيدة الإسلام في المسلـمين. والقرامطة الآباء غرسوا مشاتل الانحراف داخل ا تـمع الإسلامي والعقل المسلـم، وجاء من بعدهم القراصنة الأبناء متحالفين مع قوى الكفر والإلحاد في العالـم؛ للنيل من سلامة المعتقد وجلال المقصد عند الموحدين.

(١) « الحركات الفكرية » لبندلي جوزي ص٢١٠.

(٢) من كتاب « غارة على العالـم الإسلامي » .

فالخبراء الغربيون - الذين ساسوا جنوب الوطن منذ عهد الاحتلال - قد وضعوا أولى لَبِنات الانحراف المعرفي، والطمس الفكري، والهجرة المبرمجة عن الدين والتدين، ولـم يرحل الاستعمار عن الأرض إلا وقد استخلف الأيدي الأمينة على مسيرة الانحراف لتتـم الدور اللاحق في الإغراب بالأجيال عن الإسلام والثقافة الإسلامية.

فمنذ بداية مرحلة الاستقلال - وكنت حينها مدرساً بالـمدارس الابتدائية - شهدت مهازل التربية والتعليم في شتى المراحل، وكنت خلالها أعيش أتوناً ملتهباً من المتناقضات وتفجير المواقف ضد الإسلام عقيدةً وسلوكاً.

وأول ما طُبق من المهازل ضد الدين والتدين : إضعاف مادة التربية الدينية في المدارس بمجموعها، بل صارت حصص هذه المادة مصدراً للشغب والفوضى والـمهاترات، بين المدرسين والأشكال النضالية، وقد تتطور لتتعدى أولئك وتصبح خناقاً بالأيدي والنعال.

ويختلف الحال من مدينة إلى أخرى؛ ولكن المتفق عليه هو محاربة الدين علناً، وإهانة المتدين أمام الملأ، وبدون أدنى تحفظ.

ولقد شهدت العديد من المدارس - في مجموع المناطق - هروب مدرسي الدين عن المدرسة لسوء معاملة الطلاب، واستهتار زعمائهم بشخصية مدرس الدين، وخاصة أن بعض المدرسين لهذه المادة ليسوا على مستوى كافٍ من الثقافة والاطلاع.

وسادت في عموم المناطق فوضى الأخلاق، وضعفت الرغبة في التعلـم، وتحول الأحداث داخل مؤسسات التعليم والتربية إلى أشكال نضالية تتخبط في المنظمات الشبابية والحزبية؛ لتجد الحماية الكافية، والاحترام المناسب داخل المدرسة وخارجها.

وكان من هذا التسيب الممقوت انتشار الغش في الامتحانات والاختبارات، وخاصة في امتحانات النقل السنوي آخر العام، وكثيراً ما تتدخل الشرطة العسكرية في تلك الامتحانات للثانوية العامة في عديد من المناطق والنواحي من المحافظات.

وانتشر في الطلاب ظاهرة الهروب عن المدارس بمختلف المستويات، وضعف الالتزام الفعلي باللوائح والأنظمة والقوانين الداخلية، وانعدام احترام الملكيات العامة، وعدم مراعاة شعور الآخرين في كل مكان.

إن المنطقة - إلى زمن قريب - لـم تكن تألف مثل هذه الأخلاق المهترئة، ولربما كانت في العواصم تجاوزات وإفسادات، ولكنها لا تخرج عن كونها شاذة وقليلة.

إن الأمر الذي تنبغي الإشارة إليه في هذه المضمار أن المراحل الانتقالية من نظام إلى نظام تعد مراحل اضطراب وقلق على كافة المستويات، وغالباً ما تنسحب آثارها على كافة أوجه الحياة في كل مكان.

ولكن الذي زاد الطين بلةً في واقعنا المكدود أن الرموز القائمة على الأمور كانت رأس حربة في الفوضى والتخريب والتدمير الأخلاقي والعمراني والاقتصادي. ومثلها في المدارس، حيث يفتقر المعلـم ذاته إلى أهم الثوابت الثقافية الضرورية، ومنهم من يفتقر إلى أهم الضوابط الأخلاقية، حيث يمارس الكثيرون منهم - في حياتهم الخاصة والعامة - عاداتٍ ممقوتة، لا تليق بالجاهل، فضلاً عن المعلـم. ولهذا أصبح من الصعب على مثل هؤلاء أن يتحدثوا عن القيم والأخلاق وهم يفتقرون إلى أبسط مقوماتها.

إن مدرس اليوم والليلة في المدرسة المعاصرة، ومثله الموظف والـمسؤول وغيرها من فروع التربية والتعليم عبارة عن آلة ناقلة لـمعلومات خزنت في الذاكرة، لا علاقة لها بالسلوك.

ومعلوم أن الطالب الأرعن - بمجرد أن يرى معلـمه آلي التفكير والعطاء مشطور الإرادة - يعتقد أن الحياة العلـمية تكمن في حرية الحركة والتصرف وفق الرغبة الذاتية.

إن أولئك المدرسين المتخرجين - خلال الأعوام الصعبة من معهد دار المعلـمين والمعلـمات كما أعتقد - لم يراع في اختيارهم للمهمة التربوية مقاييس واعية تعود بالنفع على الكل كما ينبغي.

فالمعهد الخاص بتخريج المعلـمين والمعلـمات في مدينة خورمكسر بعدن مثلاً يستقبل كل عام أرتالاً من الطلبة والطالبات ممن حصلوا على مستوى أقل من الحد الأدنى للقبول في مواد التعليم في امتحانات الإعدادية النهائية، الأمر الذي يشير إلى أن هؤلاء في الغالب من أولي السوابق والانحرافات، أو أولي الظروف الاجتماعية القلقة نفسياً أو اقتصادياً أو أخلاقياً ؛ مما يجعل دور المعلـمين والمعلـمات مجمعاً خصباً لكثير من المشكلات والانحرافات.

Comment: المشاكل في اللغة - حسبما يعرف الفقير - كلـمة خاطئة، والصواب : مشكلات ؛ واللّه من وراء القصد.

إن سوء الاختيار - للمعلـم والطالب - مع تغير المناهج التعليمية فترة بعد الأخرى - تبعاً للسياسة الحزبية - قد حول هذا الدور إلى بيئة فاسدة، ومراتع مضادة لمدلولها التربوي والتعليمي.

ويمكن تلخيص أسباب الانحراف إلى ما يلي :

١- تطبيق سياسة الاختلاط بين الجنسين في مرحلة المراهقة ؛ مع ضعف التوجيه التربوي، والضابط الأخلاقي.

٢- تجميع أكبر عدد من الجنسين؛ المتشابهة أحوالهم الاجتماعية وظروفهم النفسية.

٣- تسرب المعلـمين الأكفّاء من مواقع عملهم التربوي إلى دوائر أخرى.

٤- فساد التطبيق الإداري للوائح والأنظمة؛ وسريان الفساد إلى تلك اللوائح ذاتها.

إن مما دمر المواقع التربوية في الوطن، وبدد شمل المعلمين الأكفاء هو سوء التخطيط التربوي في الانتقال الوظيفي من الهيكل التعليمي الموروث عن حكومة الاتحاد[1] إلى الهيكل الثوري الجديد.

كما أن دخول المفاهيم التربوية الجديدة المتنوعة إلى كافة المدارس والمعاهد دفعة واحدة - وفق القرار السياسي - كان له أثر سلبي خطير على مستقبل التعليم عموماً.

لقد كانت معالجات الإدارة التربوية لمسألة الانتقال المنهجي عقيمة وسلبية ؛ وخاصة أن تأسيس المنهج كان تحت إشراف الخبراء الألمان الشرقيين « رواد منهج البوليتكنيك » [2]، وهذه المادة في واقعنا تعتبر مادة جافة لم يأ لها أبسط شروطها برغم ما تبذله الإدارة من دورات وتلخيص معلومات.

لقد أدى إدخال المنهج الألماني الشرقي « البوليتكنيك » في دائرة التعليم إلى تسرب الطلاب من مدارسهم، والتحول إلى الأعمال والحرف اليدوية، والانخراط في سلك الجندية، أو الهروب عن الوطن كلياً.

إن هبوط الرغبة الذاتية للتعليم لدى ا موع الأوسع من طلاب المدارس في الريف والمدينة يعود - في الدرجة الأولى - إلى سوء التخطيط التربوي، وإلى تعجرف

---

(١) آخر سقف سياسي ينشئه الاستعمار بعد ظهور النظام الجمهوري في شمال الوطن عام ١٩٦٣م ، وهو عبارة عن توحيد سلاطين ومشايخ الإمارات والمحميات وتعيينهم كوزراء في دولة فدرالية ، وقد استمر هذا السقف السياسي حتى الاستقلال.

(٢) عبارة عن منهج يجمع بين النظرية والتطبيق، أي: دراسة المادة النظرية كالنجارة أو الزراعة وتطبيقها من خلال العمل الميداني ، وقد أشير إليه في الندوة التي أُقيمت تحت عنوان « تدهور التربية والتعليم.. أسبابه ونتائجه.. » والتي أقامها فرع الدراسات بعدن من ٧ إلى ١٣ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ ، قدم فيها مجموعة من الأبحاث نخبة من أساتذة الجامعة.

الإدارة المركزية المكتبية الهشة، وإغراق المدارس بالسياسة الحمراء ؛ لتجرعة أجيالنا المخدوعةَ غصص الجهل ومرارةَ الحرمان.

الطالب المسلم في مدرسته لا يعرف الإسلام، والمعلم المسلم لا يمارس أبسط قواعد الدين الإسلامي، والإدارة لا يعنيها الاهتمام بالإسلام، أو الحديث عنه مع الطلاب، تحت أي شعار كان، والجهات الرسمية تتحدث عن المسلمين وعن الإسلام مقروناً بالتخلف والرجعية والكهنوت وحماية الإقطاع.

ولعمري -وقد عاصرت هذا الهراء وشاهدت حال كثير من الممارسات الخاطئة- أسأل نفسي: ما هي الثمرة التي تجنيها الأجيال والوطن الإسلامي والعربي من هذه الغربة المقصودة ؟

إن ممارسة الشعائر الدينية -بدءاً بقراءة القرآن، والموعظة الدينية، وإقامة الصلاة- في مدارس جنوب الوطن ممنوع منعاً باتاً من القاعدة إلى القمة ؛ وشرط الطلاب المشتركين في أنشطة الأشكال النضالية أن يكونوا متحررين عن عقدة التدين والأوهام الدينية.

لقد كتب أحد الطلاب المتدينين لقريب له خارج الوطن؛ يصف المدرسة التي يتعلم بها :

نرى في اليوم ما هو في أخيه ... كذاك حياة أبقار السواقي

ولولا عصب عينيها لكانت ... تعاني اليأس والسأم الدخيلا

وكتب آخر : « {ظَهر الفَساد في البر والبحرِ بما كَسبت أَيدِي الناس}[الروم:٤١].. في جمهورية الجهل المسلح، والناس في ضباب حائر، منهم من انقلب على وجهه -خسر الدنيا والآخرة - ومنهم من يقول : {ربنا لا تزِغْ قُلُوبنا بعد إِذْ هديتنا} [آل عمران:٨] ؛ والمؤمنون الصادقون يخافون أن يتخطفهم الناس، ولقد عم الفساد وطم ؛ وانتشرت الأباطيل والأراجيف عن الإسلام واستهزئ به وبمتبعيه علانية ؛ وأُلغيت

مادة الدين على طلاب السنة الرابعة الثانوية، وحلّت محلها مادة الفلسفة ؛ ومنِع مدرسو اللغة العربية - في بعض المعاهد - من الاستشهاد بالقرآن العظيم في مادتي النحو والبلاغة؛ ويناقَش مقترح لإعادة النظر في مناهج التاريخ الإسلامي بما يتلاءم مع خطط الحزب ؛ وعقوبة من يوزع شريطاً يحمل موضوعاً دينياً ستة أشهر في السجن؛ وازداد في المعاهد والكليات والإعداديات أعداد الطالبات اللاتي يحملن سِفاحاً ؛ وانتشرت الخمور في كل قرية ؛ وجاهر الملحدون بالإفطار رسمياً ؛ ومن تحدث في مسجد أو مكان عام - عن شيء من أمور الواقع - قُبِض عليه، وحقق معه، ولا يخرج إلا مجنوناً أو مغسول المخ[1]».

وهذا قليل من كثير لو أراد امرؤ أن يصف الحقائق القائمة، والـمآسي العائمة؛ وكثير ممن يقرؤون يظنون غير الحق، وكثير ممن سمعوا مثل هذا في خارج الوطن اشمأزوا.

وقال بعضهم لبعض : كيف يكون مثل هذا في بلاد مسلـمة وشعب مسلـم ؟ إن هذا لا يتصور؛ فضلاً عن أن يحدث في الواقع المعاش. ثـم قال أحدهم : إن الواصفين لهذه الأمور لنا إنما فقدوا مصالحهم في تلك البقعة من اليمن ؛ ومن مركب الحقد والغيظ يهولون الأمور ؛ كما قد قيل عن مراحل سابقة في التاريخ مثل هذا القول.

لقد تغير كل شيء في ساحة الوطن ؛ وما التربية والتعليم إلا نموذج من نماذج التغيير ؛ وقد كانت قواعد التحول في هذه المؤسسات قائمة على التدرج في الأمور التالية :

١- التأثر الكلي بتجربة المنظومة الاشتراكية في الدول الشرقية ؛ وأخذ مخططا ا التعليمية والتربوية السلبية ليبدأ العمل ا تدريجياً في الهياكل الإدارية، والـمناهج التعليمية ؛ ومن ثـم استقطاب الخبراء الشرقيين للإشراف المباشر على التطبيق الاشتراكي.

---

(١) من نص رسالة بعث لها أحد طلاب الكليات إلى قريب له.

٢- تقليص المادة التعليمية الدينية في كافة المدارس، وإيقاف التدريس ا في المراحل العليا، وخفض درجات اختبارا ا وامتحانا ا بحيث تصبح غير ذات أهمية لدى الطالب والطالبة في محصلات مجموع النجاح أو الفشل.

٣- توجيه الحرب والإيذاء، عن الدين والـ متدين داخل المؤسسات ذا ا ؛ ويكلف الحزبيون، وأعضاء المنظمات القاعدية[1] ، وأشيد، والطلائع[2] ، باستفزاز المعلـ م والطالب الذي ينتـ مي إلى الدين، أو إلى العائلات المتدينة، وتوجيه أصابع الا ام من أعضاء النقابات لـ مدرس المادة الدينية بتهمة المناهضة لأيديولوجية الثورة، والعمل لحساب دول خارجية.

٤- العمل على تفويج المدرسين والـ مدرسات القادرات على تنفيذ السياسة التربوية الجديدة من خلال الاستقطاب النوعي لكل متجرئة ومتجرئ للانطواء ضمن الأطر السياسية ؛ حيث يسهل العمل القسري، وتطويع الآخرين، والتركيز على استقطاب المرأة في العمل التربوي ؛ وخاصة في المراحل الابتدائية والإعدادية ؛ ليتـ م التأثير على النشء خلال مرحلة المراهقة.

وقد شهدت المدارس كثيراً من الشرور، والآثام المترتبة على هذه السياسة الخرقاء، وجنت بيوت المسلـ مين مرارة الألـ م والخيبة والإحباط، من داخل المدرسة والـ معهد، بل ومن المعلـ م والـ معلـ مة والـ مدير والـ مديرة في بعض الأحايين.

---

(١) هو الشكل السياسي الأدنى في المناطق والـ مديريات ، وهي عبارة عن مجموعة عمل داخل كل مؤسسة وإدارة تربط بين الشكل الإنتاجي والخدماتي والسقف السياسي الأعلى.

(٢) أشيد هي تجمع شبابي سياسي يسترشد بإرادة الحزب، وهو بمعنى أدق شبيبة الحزب. والطلائع هي ناشئة الأطفال في بدايات سن التعليم ، تنظيم شبه سياسي لربط أيديولوجية الأطفال بمنجزات الحزب من أجل تحويل مجرى عقول الناشئة عن الإسلام وآدابه.

وما الخمر إلا كماء السماء ..

قال شاعر قرمطي في عصر القرامطة الآباء :

وما الخَمر إلاّ كماءِ السماءْ   محل وقُدست مِن مذْهبِ

وكتب ناصر خسرو في كتابه « سِفْرنامه » عن الخمرة في عاصمة القرامطة فقال: إن قضية الخمر لدى القرامطة لم تعد من المسائل الدينية، بل أصبحت من المسائل الاجتماعية والأخلاقية .

وإذا كانت كذلك في ذلك المجتمع الأقرب إلى الإسلام من حيث الزمن والحكم والاحتكام؛ فأين ستكون الخمرة في عصر الإعلام، والحرب العالمية المعلنة ضد الإسلام، وامتلاك الكفار والملحدين آثار الحركة والتوجيه المعنوي ؟

لقد انتشرت الخمرة في الوطن المخمور كالماء والشراب، وفي وضح النهار، دون خفاء ولا استتار.

لقد سبق القرامطة الآباء في تمهيد السيادة الخمرية، فكانوا يرونها من منظورهم الفكري مجرد مسألة اجتماعية لا دينية؛ أما القراصنة الأبناء فقد أضافوا إلى التشريعات الخمرية قوانين أكثر فعالية وتأثيراً ؛ فجعلوها من صلب الموارد الاقتصادية التي تربح الخزينة من جهتين :

١- المال.

٢- أسر عقول النساء والرجال.

ويعاقب القانون الرسمي على من ضبط وهو يشربها دون الثامنة عشر من العمر، هذا إذا ضبط، ومن ذا الذي سيضبط في مجتمع القراصنة المخمورين ؟

لقد كانت عصور الظلم والاستعمار تخفي الخمر، ويتخفى شاربها عن الناس؛ وكان الجمع الأوسع من الناس يحتقرون الشارب ويسفهون سلوكه ومجاهرته، وربما ضربوه ؛ وأما الحدود فقد عطلت منذ زمن بعيد. وأما منذ فجر التحولات فقد انفجر البركان عن ثورة خمرية عظمى :

- فتحت له الحوانيت الخاصة في العواصم، والقرى، وفي الشوارع العامة، والمنتزهات ؛ وعدم الحظر عليه في مراكز التفتيش، وتسهيل التراخيص للباعة.

- ارتفعت نسبة الاستيراد للكحول حتى اضطرت الدولة الفتية لإنجاز المهمة التاريخية ؛ وهي تشييد مصنع الخمر في منطقة « المنصورة » ليبدأ إنتاجه.

- معاقرة عموم رجال الدولة والحزب لهذه المشروبات علناً، وأقيمت في بعض الإدارات الهامة بارات خاصة [1].

ولقد شهدت بعيني انتشار ذلك والمجاهرة به في أقدس الشهور شهر رمضان وهم يتعاطونه جماعات جماعات تحت أشجار الحزام الأخضر بمحافظة أبين، وبصق أحدهم أمامي محتقراً مروري أمامه، ومتحدياً لي، ومفتخراً بفعلته الشنعاء.

وفي مركز من مراكز تدريب المعلمين والمعلمات كان العديد من الطلاب يدخلون الصفوف ورائحة الخمر تفوح من أفواههم، ولما رفع أمرهم إلى الإدارة أجريت بشأنهم إجراءات وقائية تمنع شرب الخمر عنهم خلال أوقات الدوام.

وانتشرتِ الخمر ومبيعاتها لتصل إلى بلاد العلم والعلماء، إلى حضرموت..

---

(١) ارتفعت نسبة استيراد المشروبات الكحولية عام ٧٩-٨٠م إلى ١٠٠%، بينما ارتفعت بالمقابل أسعار البضائع الاستهلاكية إلى ١٢٠%، وانعدمت بضائع أخرى من السوق.

لقد كانت حضرموت - منذ عهودها السالفة - تـمتع بمكانتها العلـمية، والعلـمية، والتاريخية ؛ وكان ذكر الخمر معدوماً في أرجائها، بل وغير متوقع؛ اللّهم إلا إذا كان أحد المنحرفين والـمتأثرين بالأسفار، أضاع حياته في الغربة الظاهرة والباطنة.

ولـما تـمكن النظام الأحمر من مقاليد الأمور أطلق حرية المشروبات المسكرة في كل أنحاء المنطقة دون استثناء، بل وأطلق الحرية والأمن لكافة الأفراد الراغبين في معاقرة الخمور حيثـما شاؤوا، و م وبحريتهم تحولت مدن العلـم والتقوى والدين والتدين إلى مواخير للسكر والخمر، والعتو والنفور، والزنا والفجور.

إن تعليل الاشتراكيين لـمسألة الخمر والسكر هو أ ا موجودة في كثير من بلاد العرب والـمسلـمين، وهناك مئات يشربو ا في بيو م وفنادقهم وفي رحلا م وأسفارهم، وأن مثل هذا مبرر منطقي للاستـمرار في شرب الخمر داخل الم ل وخارجه، وإذا كان هناك من يشربه في م له فما المانع من شربه أمام الملأ !

والإسلام - في تحليل الخمر - لا يجعل الوزراء والأمراء والأغنياء والأغبياء حجة في الفعل والترك، ولا في الإعلان بالشرب أو الإسرار، وإنما هذا منطق المدافعين عن فساد واقعهم دون النظر إلى صلب التشريع وحكمه.

إن سياسة قراصنة اليوم قد أعادت تشكيل النفسيات المحلية من أتباع الحزب والدولة وسماسر م، ليصبحوا مشرعين للحياة، ومنظرين للـمستقبل من داخل الأقبية المخمورة، والعقول الهشة المأسورة، يتحدون اللّه، والرسول، والإسلام. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

حقوق المرأة.. وما أدراك ما حقوق المرأة..

الـمرأة في المجتمع البشري كائن بشري مسؤول ؛ له خصوصياته وأخلاقياته، وحدوده الشرعية وآدابه المرعية، ضمن وظيفته الأزلية التي خِلق من أجلها، وضابطها: الشرع الإسلامي.

ولكن البشرية الإنسانية قد تـمردت على الأديان بعمومها، وبرز في المحيط الإسلامي من أتباع الفرق والتيارات من يتحدث عن المرأة وحقوقها بصور خارجة عن لياقة الآداب في الإسلام.

فالبابية - كمذهب منحرف - يرسم للـمرأة صورة مجانبة للإسلام في مبادئه عن المرأة. يقول مبدؤهم : اعترفت البابية بحقوق المرأة، حتى أوجب إسناد مراكز القيادة في الدين إليها كالرجال ؛ ورفَعت عنها الحجاب، وسمحت لها بإبداء الزينة والتجمل، وحرمت الطلاق أحرج تحريم [1].

والقرامطة الآباء تجاوزوا كل هذا الحد في مسألة حقوق المرأة حتى أباحوا لها كل محرم، وقصيدة الشاعر القرمطي شاهدة على ذلك [2] :

خذِي الدف يا هذه والعبي ... وغَنّي هزاريكِ ثـم اطْربي

تولى نبي بـنـي هاشمٍ ... وهذا نبي بـنـي يعربِ

لكل نبي مضى شِرعةٌ ... وهذي شرائع هذا النبي

فقد حطّ عنا فروض الصلاةْ ... وحط الصيام فلـم يتِعبِ

---

(١) « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد وجدي.

(٢) هذه القصيدة متداولة في كتب التاريخ، أوردها « نشوان الحميري » في شرح قصيدته، ووردت في «تاريخ اليمن» للخزرجي.

إذا الناس صلوا فلا تنهضي		وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا		ولا زورةَ القبر في يثربِ
ولا تمنعي نفسك المعرِسِين		مِن الأقربين أو الأجنبي
فكيف حلَلْتِ لهذا الغريب		وصِرتِ محرمةً للأبِ
أليس الغِراس لمن ربه		ورواه في الزمنِ المجْدِبِ
وما الخمر إلا كماءِ السماءْ		محل فقُدست مِن مذْهبِ

وسواء صحت هذه القصيدة عن شاعر القرامطة الآباء أم لم تصح؛ فالسلوك المتبع خير شاهد على الفكر والمبدأ، فالمرأةُ - في المجتمع الثوري الجديد - إنسانٌ مشارك في كافة المجالات العلمية والعملية والاجتماعية والعاطفية والاقتصادية، دون تمييز أو استثناء.

بل لها الحق في تحقيق فرص المساواة العادلة مع الرجل في حقل التعليم والسياسة والاقتصاد، والاشتراك في المنظمات الجماهيرية والشعبية، والترقي بحرية في هيكل السلطات السياسية والحزبية، ومحاربة الأفكار الرجعية المتمثلة في الدين ورجاله.

إن هذه المقولات اللاهبة للصدور أغرت الكثير من طالبات المدارس الإعدادية والثانوية والجامعية كي يصبحن داعياتٍ للمبادئ الجديدة، ومتبنيات للأطر السياسية الاجتماعية المنفذة لهذه الأفكار، ومنها :

١- فتح اتحادات نساء اليمن كمنظمات جماهيرية مستقلة تحارب الرؤية الإسلامية وتناقضها.

٢- فتح صفوف لمحو الأمية، مع التركيز على إبراز الإسلام كفكر إقطاعي كهنوتي قاهر لمواهب الإنسان.

٣- إجبارية تعليم الفتاة في المدارس المختلطة.

٤- اشتراك الفتاة في منظمات الطلاب والطالبات وحركات الشباب، كرد فعل ضد الالتزام في الإسلام.

٥- مشاركة المرأة في كافة النشاط الاجتماعي والثقافي العام عبر قنواته، والتعريض بالإسلام كدعوة جامدة ضد التقدم.

٦- تبني قانون الأسرة الذي يكفل للمرأة حريات واسعة في ممارسة حقوقها الذاتية، وانتزاع القرار من يد الزوج والأسرة.

٧- محاربة كل الأفكار الدينية والاجتماعية المضروبة على المرأة لإعادتها إلى ما يسمونه «عصر الحريم» [(١)]، و«الأركان الأربعة» [(٢)]، والحجاب، و«المرأة ناقصة عقل ودين»..إلخ.

لقد اتخذ هؤلاء المنظرون وضحاياهم من العلاقات الاجتماعيةَ خلال مراحل التحول والتغير ونقض الحكم الإسلامي الحق؛ حجةً لهم كي يتجاوزوا الإسلام ومبادئه، إلى أطروحات الكفار ومعالجة الملحدين ومفكري الشعوب المنحرفة أخلاقياً.

والحديث عن المرأة وحقوقها - من وجهة نظرنا - لا ينبغي أن يتهالك إلى مستوى الإسفاف الذي تنطلق منه مبادئ الجدلية التاريخية، والفلسفة الماركسية اللينينية ؛ ولا أن ينغلق إلى مستوى التحجر والرفض الكلي الذي انغلقت فيه عادات بعض المجتمعات العربية والإسلامية ؛ ونحن هنا لسنا في مقام الجدلية، وإنما نحن في مقام التقرير لوقائع انحراف فكري وأخلاقي ؛ أفرز - بالضرورة - جدلاً، وأقام له دولة[(٣)].

---

(١) عصر الحريم : يطلق على مرحلة الدولة الأموية والعباسية التي كثرت فيها الجواري والوصائف في البيوت.

(٢) الأركان الأربعة : عبارة يتداولها المعارضون لمكث المرأة في المنزل، فيعبرون عن المنزل بالأركان الأربعة، أو خلف الجدران.

(٣) وكان شعار هذه الدولة في المؤتمر الأول للمرأة :

وقضية المرأة واحدة من القضايا المهمة في كل عصر وزمان ؛ ولا يكاد دستور من دساتير الأرض - أكان محقاً أو مبطلا - إلا وتعرض لشأن المرأة وحقوقها، وفي مقدمتها الإسلام، وهو الحكم الفصل.

وفي منطقتنا المنكوبة وردت قوانين الحرية والـمساواة للـمرأة، ومساوا ا ومشاركتها للرجل ممتزجة بالكراهية لكل ما هو قديم دون تـمحيص ولا تـمييز.

وبالطبع فإن في القديم المتوارث صبغة الإسلام الحنيف، ولـما كان القراصنة الأبناء -من تركيبهم الطبعي- حرق الأخضر واليابس -كآبائهم التاريخيين- فقد أعلنوا إسلاميتهم الإعلامية، وجذروا في الواقع المخذول كل علاقة بالإسلام ومفاهيمه؛ ما عدا العقود والأنكحة والطلاق، فقد ظلت بأيدي مأذوني المحاكم تـمثل صورة الأسرة المسلـمة في الحكم والاحتكام ؛ وما فوق ذلك فقد أصابه الداء وتنازعته الأهواء.

إن مفهوم الحرية - لدى كثير من الرجال والنساء - يعني إشباع الرغبات الجنسية المشبوهة المريبة داخل مواقع العمل والإدارات والـمؤسسات بما لـم يسبق له مثيل؛ بل صارت خيانة المرأة لزوجها مجرد سلوك طبيعي إذا كان له ما يبرره ويدفع إليه،

يا رفيقتنا اليمنية يا امرأة رمز الصمود
اسحقي أعداء الثورة أنتي إنسان عنود
بالتحالف في المسيرة حطمي كل القيود
مع العمال رمز الطليعة والفلاحين والجنود

وفي شعار آخر :

والـمرأة لازم تتحرر من علاقة رجعية
تعمل في الحقل وفي المصنع عبر مسيرتنا الثورية

وأخذت الجهات المسؤولة تناقش - في خفاء - مسألة الجواز الرسمي للإجهاض في المستشفيات الرسمية بعد أن اجتمع لدى أقسام الشرطة في بعض المدن -كعدن - عدد من الشباب والشابات يطالبون بالتزويج أو إفراغ ما في الأحشاء ؛ بل وصل الأمر في حالات كثيرة إلى إجبار الشباب المتهمين - ظناً أو تحقيقاً - على الارتباط الرسمي بالفتاة التي تنسب إليه حملها.

لقد عادت صور العصر الجاهلي من جديد، وعاد أيضاً في المقابل امتناع العشرات من الشباب عن الزواج لأسباب متناقضة ؛ فالشاب الأرعن يحصل على بغيته الجنسية بيسر وسهولة لا تكلفه مسؤوليات الأسرة، ولا ارتباطات اجتماعية ثقيلة، وقد أسقطت على ألسنة القراصنة حرمة الآداب، ومسؤولية الأخلاق، وضعفت مسألة الوازع والخوف من الله ؛ فالشيوعيون لا يؤمنون بوجود الله، ولا يقيمون للشريعة أدنى اهتمام أو احترام، والقادة العطشى وزبانيتهم أكثر الناس استهتاراً بالأخلاق، وأكثر الناس انهزاماً أمام الكأس والمرأة ؛ بل ومن أجل شهواتهم يمارسون الضغوط السياسية والإدارية على ضحايا التقدم والحرية من الفتيات والنسوة ضمن الوظائف الإدارية المختلطة.

لقد أدى الانهيار الخلقي في المجتمع الموبوء إلى فجائع وفظائع، جعلت بعض الآباء مضطراً إلى تربية أبناء ليسوا من صلبه، واضطراره ذلك نابع من اشتغاله داخل عمله ودائرة سلطته بما اشتغلت به المرأة ذاتها.

ونوع آخر من الشباب الملتزم، أو المحافظ إلى حد ما، أو من الراغبين في الحياة الكريمة الهادئة، بعد أن سبر غور التجربة المنحلة يرفض الزواج لشمول العقدة المركبة في بنات الزمان خشية أن يقع فيما لا يحمد عقباه ؛ وقد رأى العديد من الأزواج فشل زيجاتهم منذ ليلة الزفاف عندما تيقن ليلتها أن المرأة قد مارست العلاقات المنحرفة بحيلة أو ضغط أو انهيار ذاتي.

إن كثيراً من العائلات والأسر في المدن والأرياف حافظوا حق المحافظة على شرف السلوك والحشمة والأخلاق، وتأدبوا رغم شمول الفساد في الهياكل الرسمية، وكان موقف هؤلاء نابع من حصانة الأسرة، وتدينها المتوارث، بل وقاوم بعضهم داخل أسرته كل مظاهر الضعف والاستحسان المشين، لتبقى مبادئ الإسلام في الشعب المسلـم مهما ا ارت مبادئ القادة، وا زمت ثقتهم بالله والدين.

لقد عرفت بلادنا اليمنية أنماطاً من الحرية والـمساواة للـمرأة دون الحاجة لتسييسها، فالـمرأة في الدين تعتبر سيدة الموقف، تشارك في البيت والحقل، وتحرث الأرض وتسقي الزرع وترعى الماشية، ومنهن من تستقبل الضيوف
- مع كمال الحشمة - وتكرم الوفود ؛ بل ومنهن من تشارك في القتال وتصلي وتصوم، وتعرف حق الله ورسوله وحق الزوج والوالدين والأرحام والجيران حسب حدود معرفتها، وتستقبل التوجيه من العلـماء والـمصلحين والدعاة.

إن الجديد في مجتـمعنا هو « الغزو الثقافي » المتبـنـي أسس التحولات الفكرية والاجتـماعية لـمعاني الحرية والـمساواة، إضافة إلى الحقد المدفوع والـمسيس داخل الخيمة العربية الإسلامية لفرض الحلول الغربية على ا تـمع الإسلامي باستغلال أنصاف المثقفين وضحايا المراحل المتلقبة.

أما المرأة - وخاصة المسلـمة المحصنة - فسيدة المرعى والـمـ ل والحقل والـمجتـمع، وأم التربية والسلوك، ولا تحتاج - في سبيل تطبيق واجبا ا - أكثر من أدب الإسلام ؛ وما دون ذلك فالأمر لا يحتاج إلى ثقافة، ولا تفجير مواقف؛ اللّهم إلا إذا كان من جنس الوباء الجديد المفروض على أمتنا من أعدائها التاريخيين.

إن بعض العادات الجارية في بعض مناطق الوطن مثل تعدد الزوجات على غير حاجة ماسة لذلك ما سوى المتعة والتلذذ، فيتزوج واحدة ويطلق الأخرى، أو ما يحصل من عقد

زواج خفي على امرأة دون علم أحد ولا إشاعة ذلك، كما هو في بعض أنحاء حضرموت، بحيث يتزوج ويولد له، ولا يعرف عنه ذلك إلا في دائرة المحل الذي تزوج منه، إن كل ذلك مما يتخذه المغرضون حجةً على نقد المجتمعات، وتنقيص ديانتهم، وتبرير تجاوزات التحولات والدعوات المنادية بالحرية والمساواة، لمعالجة مثل هذه الظواهر، أو لجعلها حصان طروادة[1] لبلوغ مآربهم الدنيئة لنسف علاقات المجتمع برمتها ؛ والقول الفصل في ذلك أن حقيقة الأديان السماوية -متمثلة بشرعة الإسلام التي هي آخر الشرائع- أباحت للرجل تعدد الزوجات بطريقة مسؤولة ومشروعة، سواء بطريقة سرية أو جهرية، إلا أن إعلان الزواج سنة متبعة، وفيها درءٌ لكثير من المفاسد ، ولعل السبب المؤدي إلى الإفراط في الزيجات أو إسرارها يرجع إلى أسباب خاصة بالأفراد أنفسهم ، وبعادات المجتمعات ذاتها، وليس لها حكم عام، وإنما الضابط المطلوب أن تتبنى الأنظمة والمحاكم هذه الأمور حتى لا تخرج عن موقعها السليم.

والعود في كل الأحوال إلى عدالة الإسلام كفيل للجميع بإعادة المياه إلى مجاريها، وضبط الزواج والطلاق سراً وجهراً، وأيضاً ضبط الدعوات الانفعالية القائمة على سياسة هدم المجتمع، وتفكيك الأسرة.

لقد جاءت الماركسية الحاقدة في المنطقة بأيدي عصبة من شواذ المجتمع لقلب كل المقاييس والأعراف والمفاهيم، وكان أمراً مقضياً..

---

(١) يقصد به التوصل إلى المطلوب بحيلة، وقصته -فيما يقال- أن اليونانيين أرادوا غزو حصن طروادة الروماني فلم يستطيعوا لمناعة حصون بلادهم، فأرسلوا إلى ملكهم تمثالا ضخما يشبه الحصان، وعندما أدخلوه حصنهم فوجئوا بعشرات الجنود يخرجون من التمثال ويفتحون باب الحصن للجيش القادم، وانتصروا عليهم، فذهبت مثلا.

إن مجريات الأحداث في المنطقة -خلال السنوات الأولى من سيادة الفكر الأحمر- قد ضربت كيان المرأة اليمنية المسلـمة ضربة جارحة للخلق والدين والضمير ، وشاهد ذلك تلك الأساليب الوقحة التي مارسها زبانية النظام في عدن، وأبين، ولحج، وجعار، والحصن، وحضرموت، وحبان، ونصاب، وغيرها من مدن جنوب الوطن المغلوب على أمره عشية الانتفاضة المسلحة، وما رافقها من إجبار العائلات المحصنات الغافلات على الخروج من مخادعهن وبيو ن، للـمشاركة الإلزامية في المسيرات الثورية، وكان قراراً حاسماً، وما أغرب الحسم في هذه المواقف !

وخرجت - تحت وطأة الاستفزاز - عجائز البيوت، ومخدرات المنازل، ونسوة لـم يعرفن الأسواق ولا الطرقات منذ أن ولدن إلى يوم المسيرة، تدفعهم سلطات البغي والنهب إلى ما يتصورونه إنجازاتٍ ومكاسب ، وهي مثالب ومعايب .

لقد سجن عدد من الرجال والآباء بحجة تعويق النساء والفتيات عن المشاركة في المسيرات، وسجن عدد آخر وحرموا من نصيب السكر المقرر شهرياً لتـموين العائلات ، حرموا منه شهوراً طويلة بتهمة حجز الزوجات أو البنات عن المسيرات أو عن الالتحاق بصفوف محو الأميات.

لقد هتف الكادحون في تلك الأيام الحمراء تافات وشعارات عديدة ، كلها تقطر حماساً ودماً وهتكاً وفتكاً بالشعب المغلوب :

محو الأمية واجب　　　سحق الكهنوت واجب

حرق الشياذر واجب　　　تحرير المرأة واجب

وسارت في شوارع أبين وجعار والحصن وغيرها مسيرات التحول تف بزعيمها الرمز :

سالـمين نحن أشبالك وأفكارك لنا مصباح

وأشعلناها ثورة حمراء باسم الكادح والفلاح

وفي مدينة تريم الصامدة - مدينة الوعي الإسلامي والثقافة الدينية الثابتة - وقف العمال والمواطنون موقفاً شجاعاً أمام كتلة الحركة الماركسية في إحدى المناسبات التي أغفلت الحديث عنها أجهزة الإعلام ، فلقد سجل التاريخ للعمال الحضارم بمدينة تريم خلال الأعوام الصعبة ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ م موقفهم الشجاع ضد ذيول النظام الحاكم عندما رفض العمال في حافة «الخليف» من حضور الاجتماعات التي دعت إليها اللجان الشعبية ، فاتخذت ضدهم إجراءات صارمة.

سجن العشرات منهم، وحرموا - مع غيرهم - تموين الأغذية، وأعلنت الفئة الحاكمة تحريم مباشرة الأعمال عليهم، ومنع خروجهم من تريم ، كل ذلك في سبيل إذلالهم جوعاً، وعوزاً، وحاجة؛ ولكن عمال الخليف - رجالاً ونساءً وأطفالاً - وقفوا مع إخوانهم موقفاً إسلامياً عظيماً.

توقف عمال الخليف جميعاً مع إخوانهم عن العمل مدة أربع سنوات كاملة، فأغلقت الحكومة كافة المدارس أمام أبنائهم وبناتهم، فعمدوا إلى فتح صفوف التعليم في بيوتهم، وأعلنوا إضراباً عاماً ضد مدارس النظام إلى الأبد، وعملوا على تدبير معيشتهم وأغذيتهم بأشرف الوسائل وأحسنها ، ورفضوا الاشتراك في سلك النقابات العمالية رفضاً شجاعاً.

وجن جنون الرموز المنفذة لقرارات الاستفزاز، وقام خطيبهم في إحدى الاجتماعات الشعبية يقول : إن هؤلاء العمال لم يعرفوا مصلحتهم فحاربوها ، وهم بذلك يتيحون للإقطاع فرصة الهيمنة على عقولهم من جديد، وأثناء الكلمة كان العمال يصدرون بأصواتهم تشويشات منتظمة مما أزعج المحاضر وأتباعه ، فقطع كلمته وعاد من حيث أتى.

لقد شددت السلطات قبضة الحصار المادي على هذه الفئة الصامدة حتى ما بعد عام ١٩٧٨م، ولولا أن المرأة الحضرمية قد عودت نفسها على الكسب والعمل في المزارع والغيطان؛ لـمات كثير من العمال وأبنائهم جوعاً وعوزاً وفاقة.

لقد سجلت المرأة المسلـمة بحضرموت في مدينة تريم - خلال سنوات الحصار - موقفاً مشرفاً وعظيماً، وأعادت للـمرأة حقائق معنى الصمود والـمشاركة، والـمساواة العملية في مجتـمع العلـم والشريعة والدين والأخوة في اللّه.

إن موقف القراصنة الأبناء من المرأة هو موقف القرامطة الآباء ، ولنتعرف على هذه المواقف علينا أن نتأمل التقرير الخاص الذي قدمه الدكتور إيلي كارلي إلى المؤتـمر الروسي للعلوم والأبحاث النظرية المنعقدة في مجشكالا عام ١٩٦٠م، وفيه يتضح موقف الكتلة الشرقية والغربية وذيولهما المجندة في الأوطان العربية والإسلامية.

جاء في التقرير : إن مخلفات الدين الإسلامي التي تنطوي على السلوك الإقطاعي تجاه المرأة لا تزال باقية في بعض الجهات، وتتـمثل بصورة رئيسية في تقييد اشتراك النساء في الحياة الاجتـماعية والسياسية، وفي تعدد الزوجات ومهر العروس ، وهي تقاليد تتناقض مع مذهبنا الاشتراكي، وقوانيننا الشيوعية ، ولهذا فإن من الضروري أن نخوض كفاحاً مجرداً من كل رحمة أو تسامح ضد جميع هذه المخلفات، ليس فقط عن طريق توقيع العقوبات الصارمة وفقاً للقانون، بل والقيام - في كل مناسبة من المناسبات - بخلق رأي عام ساخط يندد بأولئك الذين يتـمسكون بهذه العادات والتقاليد الضارة[1].

لقد استجابت مدرسة الثورة الحمراء في مجتـمع القراصنة الأبناء لهذا النداء، وما هؤلاء المجندات من الفتيات والنسوة والـموظفات المتحررات من مظاهر الحشمة والأدب، وهن يتصدرن في المحاضرات واللقاءات والـمجلات، ويتحدثن عن

---

(١) « الفكر الإسلامي والـمجتـمع المعاصر » د. محمد البهي.

الأعراف والتقاليد البالية كما يسمو ا، وينشرن الأكاذيب عن الإسلام - وخاصة في الحجاب والـ ميراث، وسلطة الرجل على المرأة - ويناقشن - بصراحة غريبة - مسألة تحرير المرأة عن الرجل اقتصادياً.

كل هذه البرامج والخطط والأنشطة الثقافية والاجتـ ماعية والسياسية التي تشهدها المرأة المعاصرة في الوطن مكرسةٌ بعناية تكريساً إعلامياً مقصوداً لتشويه حقائق العدل الاجتـ ماعي في الإسلام[1].

إن الرؤية المنحرفة عن قضايا المرأة في الإسلام - التي يبصر من خلالها قادة السياسة والإعلام اليوم - تنبع في أساسها من مصالح التطبيق المشترك بين هذه القوى - المحلية والعالـ مية - في مزاد السوق ، ولهذا وذاك فإن الكثير من علـ ماء المسلـ مين قد فسروا معاني كتاب اللّه ومفاهيم السنة والتاريخ الإسلامي؛ بما يسهم في فتح ثغرة الصراع المباشر حول قضايا المرأة، وأعطوا دعاة الدجل والانحلال ورقة يلعبون ا ضد الإسلام.

وقد لخص الكاتب حسين محمد يوسف في كتابه « أهداف الأسرة المسلـ مة » هذه الضلالات المقصودة - التي يستند عليها دعاة التحلل والحرية - فقال :

من هؤلاء من زعم أن الإسلام قد سبق الغرب إلى مساواة الرجل بالـ مرأة، ومشاركتها له في سائر مناحي النشاط، واستدلوا على ذلك بحضورهن صلاة الجماعة، واشتراكهن مع الرجال في الحج، وخروجهن لصحبة الجيوش، ومساهمتهن في القتال.

ومن هؤلاء من استنبط - مما تقدم - أن الإسلام لا يمنع المرأة من مشاركة الرجال في ممارسة الحقوق العامة مستدلاً على زعمه بما حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه حين دعا إلى عدم المغالاة في المهور، فاعترضته إحدى النساء بقول اللّه تعالى:

---

(١) عن « قضايا المرأة في الإسلام » .

{وإنْ آتيتـم إحداهن قنطاراً فلا تأخذُوا منه شيئاً} [النساء:٢٠]، وبأن المرأة - باعتبارها كالرجل - من دافعي الضرائب فمن حقها أن تتـمتع بكل الحقوق السياسية سواءً بسواء.

وأضاف آخرون إلى ما تقدم من أدلتهم المدحوضة نماذج انتقوها من كتب التاريخ أو الأدب مما بين المحققون زيفها، ومن ذلك :

١- أن السيدة فاطمة - رضي اللّه عنها - قامت بنصيب كبير في الدعوة لإسناد الخلافة للإمام علي بن أبي طالب.

٢- أن السيدة عائشة - رضي اللّه عنها - تزعمت تزعماً مباشراً الحركة المضادة لخلافة الإمام علي - رضي اللّه عنه - ونادت بوجوب خلع بيعته، والخروج عليه، ومحاربته ، وأخذت نفسها بطلب الثأر من قتلة عثـمان رضي اللّه عنه.

٣- أن شجرة الدر تولت السلطة بمصر، وساست الرعية في أيامها أحسن سياسة، وكان يخطب باسمها على منابر مصر.

٤- أن الخَيزران لعبت دوراً كبيراً على مسرح السياسة.

٥- أن أم الخليفة المقتدر كانت بمثابة رئيسة لـمحكمة الاستئناف العليا ، فكانت تقدم إليها الشكاوى فتحكم فيها.

٦- أن الحجاب منكر بدليل إحرام المرأة في الحج، وجواز نظر الخاطب لـمخطوبته ، وانتهى ذلك القول أن الحجاب كان من خصوصيات نساء النبي صلى اللّه عليه وسلـم وحدهن . انتهى كلام محمد حسين يوسف.

وهذه الاستدلالات لا تعد حجة أحد على الإسلام في قضايا المرأة المعاصرة ، حيث إن هذه القضايا النادرة - إذا صحت - فهي مجرد مواقف خاصة اقتضاها حدث طارئ لا مثال له في الواقع ذاته، وليس فيه أي مشا ة بالـمواقف المعاصرة للـمرأة، وحريا ا.

لقد اقتضت مفاهيم المساواة والحرية - المنادى بها في زماننا - تبعات ذات جذور كافرة، وتنظيرات فاجرة، أدت إلى شرخ خطير في التركيب الاجتماعي للأسرة، والحياة الاجتماعية، ومن ذلك :

١- إهمال تربية الأطفال، وتحويل الغالب منهم إلى الحواضن، وروضات الأطفال، والجدات، والدايات « مربيات الأطفال » ، مما أثر ويؤثر على مستوى الذكاء وسلامة الوعي والعلاقات المستقبلية. وفي بعض البلاد قد يضطر الأمهات إلى استخدام الحاضنات من الكافرات أو من لا خلاق لهن، فينشأ الأطفال نشأة ذات انفصام في الشخصية.

٢- اضطرار المرأة إلى استخدام موانع الحمل والعقاقير المعينة على تحديد النسل؛ للتخفيف من أعباء الحمل والولادة والتفرغ للعمل، وخدمة الرجال في المكاتب والوظائف، ويترتب على هذا الأمر أضرار خلقية وخُلُقية كثيرة.

٣- انطواء كافة دعوات التحرر والمساواة في المجتمع تحت المنظمات العالمية التي لا علاقة لها بالتشريع الإسلامي، ولا تمثل مفاهيمه، ولا تعمل لخدمة انتشاره ، بل تعتبر - على العكس - إحدى ركائز العداوة المبرمجة ضد الإسلام ومواقفه العادلة، بأساليبها الملتوية وبياناتها الوقحة.

٤- إرهاق الاقتصاد الفردي والمحلي بزيادة نسب الاستيراد للحليب المجفف الذي يغذى به الأطفال نتيجة انشغال أمهاتهن بالمشاركة الفعلية في الحياة العامة، وما يترتب على هذه الأطعمة المستوردة من اضطرابات هضمية ونفسية ومضاعفات صحية، تلزم الإنفاق على الأدوية والعقاقير والمهدئات، إضافة إلى نقص المعدلات الغذائية الكافية للأطفال، وكل هذه الخسائر تفوق بكثير مردود المشاركة العملية للمرأة في عملية الإنتاج والسياسة، عند التمحيص والتدقيق.

إن العقدة المريضة التي ركبها الشعور بالنقص لدى العقول المتحررة في العالـم الإسلامي ناتجة عن تأثرهم البالغ بالدعاية الغربية والشرقية، بينما الحقيقة والعدل يقتضيان أن نبرهن للجميع على سلامة العدالة في الإسلام، والعمل على تطبيقها.

لقد عمل الإسلام - وهو الدين الحق والـمنهج العدل - على إعطاء الإنسانية بعمومها - رجالاً ونساءً - قوانين حيا م المعيشية، ورتب وظائفهم الاجتـماعية، و ى الرجل المسلـم عن الجَب [1]، والخِصاء، والترهب، وهجر النساء تبتلاً، ورغب في الزواج، وأباح التعدد بشروطه، وحمى المرأة بالحجاب، مع العفة والشرف وغض البصر، وأعطاها نصيباً وافراً من العاطفة، والحنان، لترعى الأبناء، والبنات، وتجهز للأمة جيل السلامة والعلـم والاستقامة.

وفي حياة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلـم وصحابته، وفي مواقف أمهات المؤمنين، وما ثبت عن سلوك الجيل الأول من عفة وشرف ومساواة ذات ثوابت شرعية وآداب مرعية؛ في ذلك كله غُنيةٌ لـمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً. ولو علـم المسلـمون بيقين حقائق السلامة للـمرأة والرجل في ثوابت هذا الدين الحنيف، لكفاهم عن التطلع إلى خيانات الكفار، و ويس الفجار، وشعارات الإفك في العصر المنهار.

لقد شهدت المنطقة عشية الانتفاضة الشعبية عام ١٩٧٢م خروج المئات من الشباب والشابات والآباء والأمهات هاتفين : تحرير المرأة واجب.

وتحركت المسيرات عبر الشوارع، بينما كانت عناصر السلطة تكتسح البيوت لإخراج النساء مشاركةً في الحدث التاريخي، وفي المسيرة أُحرقت عشرات الشياذر التي كانت النسوة يتحجبن ا، وقام بعض زبانية النظام برفس النسوة اللاتي أبين خلع

(١) الجَب : قطع عضو الرجولة ؛ والخِصاء : تعطيل وظيفته بالكي أو بغيره ؛ والترهب : الاشتغال بالصوم والعبادة عن الشهوات الحلال.

حجا ن، وتحولت نقاط التفتيش بين عدن وأبين وجعار وشقرة إلى ثكنات تحقيق لـمن عبر الطريق، وإيقاف كل سيارة تـمر، ونزع شياذر النساء تعبيراً عن المشاركة في تطبيق الشعار : تحرير المرأة واجب.

وجاء في قرارات المؤتـمر الأول للـمرأة اليمنية: لابد أن يرتبط نضال المرأة بنضال الرجل على كل أصعدة الإنتاج، وأن تتحرر المرأة من كل قيود الماضي وجبروته واضطهاداته لنصف المـجتمع، كان الرجل يصرخ أنه يريد رفيقة له في الحقل، وفي المصنع ، لا زوجة لـمجرد المتعة وكفى.

بالي رفيقة تساعدني نحيا حياة رفاقية
نعمل في الحقل والـمصنع حياة بسيطة اقتصادية
وأنت يا عامل المصنع شيد صناعات ثورية
والبور لازم تحولها تصبح أراضي زراعية[1]

الاقتصاد والفلسفة.. علة العلل..

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » ص١٨٦ :

الاقتصاديون الماديون ينكرون ملك رؤوس الأموال أصلاً، ويرفضون السماح للفرد بملك شيء يمكن أن يسمى مالاً، أو رأس مال، ولا معيار عندهم لحق الفرد في أجور العمل إلا ما تفرضه الجماعة من نفقة على قدر الحاجة إليها.

ويقول فردريك إنجلز في تقريره عن الفلسفة المادية : إن العالـم الذي ندركه بحواسنا، والذي نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة، وليس الإدراك والتفكير إلا نتاجاً لعضو من أعضاء

---

(١) « قرارات المؤتـمر الأول » ص١٣٥.

جسمنا، وهو المخ، فليست المادة من إنتاج العقل، بل إن العقل نفسه ما هو إلا أسمى إنتاج المادة . ويضيف ماركس على هذا المبدأ قوله : لا إله ، والحياة مادة .

أما القرامطة الآباء فيقولون كما أتى على لسان عبد اللّه بن الحسن القيرواني - أحد الباطنية الأوائل - في رسالة رفعها إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي القرمطي وردت في بعض كتبهم[1]: إذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة معولُنا، وإنا وإياهم مجمعون على نواميس الأنبياء، وعلى القول بِقِدمِ العالــم، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالــم مدبراً لا يعرفه . وقال أيضاً: إن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه، ولا يحيطون منه إلا على اسم بلا جسم، وقال أيضاً : أَكْرِم بالدهرِيةِ فإ م منا ونحن منهم.

وكتب أيضاً يقول لتلـميذه : إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن، والتوراة، والزبور، والإنجيل، وبدعو م إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض.

وهذا ما عبر عنه القراصنة الأبناء بقول شاعرهم الرمز :

إذا اقتربت الساعة وانشق القمر..
هنالك جنة تنتظر..
جنة عرضها كعرض السماوات والأرض..
فليس جحيم إذن ...؟
...
قالوا: لا تخدعوا..
فضوء الإشارة يبدو يساراً..
أيغريكم الشرق في بعده..

(١) ورد في كتاب الباطنية « السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم ».

وها الغرب أقرب..
وآلهة الأرض ظل السماء تحيط بكم..
ومن خلفهم أصبع البنتاجون..
...
أنخضع حقاً لتلك الوجود الدمى..
فالشر طبع القضاء..
والذل طبع القدر..
منذ زمان الزمان..
محال.. محال.. محال..
وإن استـمرت بواقي الغبا..
فتاريخنا اليوم ليس كما كان في الأمس..
تاريخنا اليوم يصرخ فيكم..
هذا هو عصركم..
عصر اخضرار الشموس.. البشارة..

وهكذا تجتـمع الحلقات المتباينة في الأزمان لتلتقي على مسرح الأحداث في الوطن مؤصلَةً خلاصةَ ما وصل إليه المنحرفون في الأفكار، والنظريات، وصارت فلسفة المادية التاريخية منهجاً رسمياً في هيكل التعليم والتربية بجنوب الوطن، ويتخصص طلبة كلية الحقوق في دراسة «الفقه الاشتراكي» ، ومدلول الاسم كاف لتوضيح الغرض الذي وضعت من أجله هذه الدراسة.

لقد ركب القادة والـمنظرون في المنطقة شططاً في التعليل أو التحليل، ووضعوا الأمة بكافة مقدرا ا وتاريخها الحفيل وجيلها وشعبها المسلـم لقمةً سائغةً لفرضيات

الجدلية المادية، وأعطوا سماسرة التحولات العالمية « حصان طروادة » يتغلغلون من خلاله لامتلاك القرار والتأثير على الوطن المغلوب بعشوائيات الهتك والدمار.

إن الأساليب الذكية التي قام بتنفيذها حركيو القرمطة الجديدة والقرصنة الأكيدة، -إبان ترسيخ الفكر اليساري ومبادئه الرعناء، في مجموع مؤسسات الدولة- هذه الأساليب أكدت تورط هذه العصبة في المؤامرة الشنعاء ضد الدين والوطن والأمة، وحيث انكشفت حقائق تورطهم المشين فقد أخذوا عهداً على أنفسهم أن يضعوا برنامجاً عقلانياً ينتقدون به الأشكال القائمة في الواقع ديناً ودولة واقتصاداً وسياسة وعلاقات اجتماعية تحت شعار اقتلاع كل موروث، فماذا فعلوا لأجل هذه الصفقة المأجورة ؟

لقد ركزوا في برامجهم على ما يلي :

١- إطلاق الحريات للجهلاء المتربعين على عرش السلطة في العواصم والأرياف، لاستفزاز المسلمين المتدينين، ومجادلة رجال الدين ومدرسي التربية الإسلامية في المدارس بالمناقشة في قضايا المادية التاريخية والفلسفة الماركسية؛ لإحراجهم وإزاحتهم عن مواقع التأثير.

٢- توظيف الإعلام بكل طاقاته ووسائله لنقد الأشكال الاقتصادية والسياسية الاجتماعية المتوارثة بأسلوب متسم بسمة العلم والجدلية.

٣- الاستدلال على فشل المعالجات الإسلامية بالحديث عن بعض الدول المجاورة، وما تعيشه من تخلف اقتصادي واجتماعي، واعتبار ذلك حجة لضرورة الأخذ بالمبادئ الماركسية كبديل حتمي لإصلاح الواقع بكل تنوعاته ومتناقضاته استتباعاً للشعارات البراقة.

٤- عزل العلـماء والـمدرسين الملتزمين بالدين عن دائرة التأثير في الإعلام والـمدرسة والـمسجد، والاستغناء عنهم بالتقاعد أو بالتحويل، أو بنقل ملفا م إلى وظائف أخرى، وتكثيف الرقابة عليهم.

٥- نشر الكتب الماركسية واللينينية، وتكريس الجهود في ترويض شباب الأشكال النضالية والـمنظمات القاعدية والحزبيين لتبـنـي نشر الفلسفة المادية، وشرح غوامضها، وإغناء ماد ا من الواقع المحلي.

٦- إقامة المدارس والـمعاهد ذات الطابع السياسي المتـميز والـمستقل، بحيث ترضخ في وضعها لـمفاهيم الحزب، كمدرسة العلوم الاشتراكية، ومدارس البدو الرحل، ومدرسة النجمة الحمراء، ومعهد تدريب المعلـمين، ومعهد النقابات، وغيرها.

٧- تأليب العمال والفلاحين البسطاء على إخوا م من ملاك الأرض وممارسي التجارة المحدودة، ووصفهم بالأوصاف الفكرية الغريبة كالبرجوازية والإقطاع، واتخاذ ذلك وسيلة لنهب الأموال، ومصادرة الأراضي طبقاً للقوانين الماركسية المعروفة بالصراع الطبقي.

٨- رفع نسب الابتعاث إلى الدول الاشتراكية من كافة طبقات ا تـمع لغرض التأثر بالواقع الاشتراكي، والتأقلـم مع الأفكار الحزبية، والرجوع إلى الوطن لـمـمارسة التطبيق الفعلي للانحرافات.

إن المبادئ الغربية الهدامة التي انبثقت عنها قرارات وتوصيات المؤتـمرات السياسية المتلاحقة في الوطن؛ كانت بحق أعنف وأخطر الضربات الموجعة للشعب المسلـم المتطلع إلى تحقيق أمانيه العادلة بعد مرحلة الاستعمار.

لقد مارست القوى الثورية في المنطقة المغلوب على أمرها أنماطاً من الإهانات والاستفزازات مشا ة لـما جرى في المقاطعات الإسلامية إبان مرحلة الشيوعية

الحمراء تحت مبادئ ماركس وإنجلز القائلة : إن تاريخ الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات. ويقول ماركس : صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة، التي هي وسيلة لإلغاء جميع الطبقات.

إن الدين الإسلامي الحنيف الذي تدين به اليمن وشعو ا منذ مئات السنين؛ يرفض الصراع الطبقي وما ترتب عليه من الأحقاد والإفساد في الحرث والنسل والعلاقات ، ذاك لأن المبادئ الإسلامية لا تؤمن بقضية الصراع الطبقي ولا تحبذه ، بل هي على العكس من ذلك.

إن مبدأ الصراع الطبقي الذي يدندن عليه الشيوعيون في المنطقة مبدأ رخيص الهدف والغاية، يهدف إلى أمور بشعة، ومنها:

١- إضعاف التـماسك الأخوي بين المسلـمين في البلد الواحد وبث التفرقة فيما بينهم وضرب بعضهم ببعض.

٢- تذويب الإحساس بالعزة للّه قبل كل شيء، وغرس التحيز لـمعنى الوطنية والـمواطنة تحت ضيق الشعارات والعصبية المبطنة.

٣- إفقاد المسلـم مبادئه الفاضلة في الحب والتعاون والكرم والعزة والـمودة واستبدالها بالشح والبغضاء والحسد والتربص والتجسس وسوء الظن ، وهبوط العلاقات إلى مستوى المصلحة الذاتية ومصالح الدولة والحزب.

إن السياسة الشيوعية تجمع تحت مصالحها عصابات من الناس يمارسون في الواقع الإنساني باسم الإنسانية صورا من القهر والبطش والخداع والنهب والسلب تنمو ا مصالح هذه العصابة شيئا فشيئا حتى تصطدم فيما بينهم رغبات التسلط والهيمنة، فيطبقون مبدأ الصراع فيما بينهم تحت مبرر يختلف عن مبرر الصراع الطبقي في بعض

الأحيان كالوصولية والانتهازية[1] ؛ ولكن الضحية في كل الأحوال هم السواد الأعظم من الأمة على مختلف طبقا م وفروقا م الاجتـماعية بما فيهم من يسمون الكادحين أو الطبقة الرثة « طبقة البروليتاريا » .

لقد كان مصير العديد من زعماء الصراع الطبقي في جنوب اليمن إبان مرحلة التأسيس للـمبادئ الشيوعية الموت والهلاك بأيدي رفاقهم الأوفياء، وبرغم المعارك الصامتة التي تسبق هبوب العاصفة العسكرية إلا أن التكتلات القبلية والـمناطقية تبرز في الأفق بوضوح مع كل جولة من هذه الجولات تأكيد فسادِ المبادئ الأممية التي يؤمنون ا أو يناضلون تاناً وزوراً من أجلها.

لقد ثبت بالبرهان أن مجموعات العمل في التنظيمات الحزبية ليست إلا جندية عقائدية للتنفيذ من داخل المدلولات الجديدة التي لا يدين ا أحد منهم، وإنما ينتظرون التعليمات تلو التعليمات من أسيادهم في قمة السلطة والحزبية، مما يؤكد فراغ الوعي لدى العناصر المنفذة للـمبادئ، واكتفاءهم بلذة السلطة وعنجهيةالتصرف، وانتسا م بلا وعي للحزبية المدمرة.

إن كثيراً من جنود التنفيذ للـمؤامرات والتصفيات والـمسيرات والتحولات الاجتـماعية كانوا بادئ ذي بدء يصرخون ويولولون بالـمبادئ التقدمية والنضال الجماهيري والتغيير الثوري والتجذير الاجتـماعي والسياسي، ويحملون اللافتات ورايات الصراع الطبقي بين المدائن، والقرى، والبوادي ، يقتلون، ويسحلون، وينهبون، ويقضون مضجع المسلـمين البسطاء، ويرعبو م بالهتافات والشعارات، ودق الأقدام على أرض الواقع ، ثـم بين عشية وضحاها دارت عليهم رحى الأيام

(١) وقد عبرنا عن هذا الصراع في قصة « مدينة القَحارير » بأسلوب أدبي، وما زالت تحت الطباعة.

فذاقوا مرارة العذاب بأيدي رفاقهم الثوريين، ما بين هارب عن الوطن، أو مقتول في العراء، أو مخطوف لا يعلـم مصيره.

لقد كانت تجربة مريرة للثوريين، وقَدراً مصيرياً للـمؤمنين المسلـمين، وليت الأتباع وبقية المناضلين المتغطرسين يلتفتون لخطورة المبادئ الشيوعية التي يخدمو ا، أو يكتشفون معاناة شعو م، ومرارة الشعارات الفضفاضة خلال حرب الاست اف البشري والخلقي والعقائدي الباتر.

إن حقيقة مبدأ الصراع الطبقي يتلخص في أحلام وأوهام تعتلج في عقول قادة نفعيين، يحلـمون بالعروش والقروش، على ركامٍ من الجماجم والأرواح وخرائب العمران والثقافات.

لقد عرف الإنسان القديم والحديث أن الإصلاح والعناية بالـمجتـمعات وتطورها إلى الأفضل مطلب شريف وهام ، دعت إليه الشرائع، وعمل من أجله العقلاء في كل زمن ومرحلة ، والإسلام ذاته - وهو الدين الوارث للأديان - يدعو إلى البناء والتطور وإصلاح الإنسان وأدواته ووسائله؛ ولكن على مبادئ العدل والسلام والتكافل.

لقد آلى المنهج الشيوعي على نفسه طمس كل شيء دون أدنى حساب، أو هي مصلحة ذئاب يقفون على أرض مضطربة يحملون خناجرهم في انتظار فريسة يلتهمو ا، أو موجة مفاجئة تلتهمهم.

إن قراصنة العصر الحديث في جنوب اليمن يمثلون أرقى صور الانحرافات الفكرية المقننة، وخلاصة التـمردات البشرية على الرسالات بشاهد أقوالهم وأفعالهم، ومواقفهم المتـمثلة في التطبيقات الثورية بكل نماذجها الاقتصادية والسياسية والاجتـماعية والثقافية، ذات الصلة الوثيقة بمبادئ الاقتصاد السياسي والديالكتيكية المادية.

ونرى بعض المتعاطفين مع النظام لسبب ما يقولون: إنه نظام عادل أسس لنا إنجازات ملـموسة، فقد سوى بين الطبقات، وهيأ الفرص لـمشاركة المرأة، وأخرجها من دائرة التخلف، وهيأ للـمنطقة صوتاً مسموعاً في المحافل الدولية، وحقق صوراً متنوعة من الإنجازات الاقتصادية في المدينة والريف و... و...

والواوات على كثر ا وكثرة المعطوفات عليها يقف العدل الإسلامي أمامها حاجزاً منيعاً لا تتجاوزه هذه المنجزات مهما عظمت في قلب الإنسان المسلـم، فهي لا تكسبه رضى حقيقياً للّه ورسوله، ولا تربطه بالإيمان باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر - خيره وشره - من اللّه تعالى؛ بل تربطه بالإلحاد، والعلـمانية، وإنكار الشرائع، والرسالات، والتكذيب بالثوابت الشرعية، ولا تتعدى -عند التـمحيص والتدقيق- كو ا حلقة جديدة من حلقات الإغراب بالوطن والإنسان على طريق الخدمة الإجبارية للسياسات الأجنبية المتجددة مرحلة بعد مرحلة.

إن المتأمل بوعي في تقلبات الأنظمة المتعاقبة على المنطقة منذ عهد الاستعمار يرى بحق صور المسخ المنظم المخطط الذي يهدف إلى تغريب الأجيال وإبعادها عن حقائق تاريخها الإسلامي ا يد، وربطها بعجلة الأنظمة العالـمية، عدوة الديانة الإسلامية، وصانعة النكبات في الوجود.

ولعلنا هنا نكبر ونعظم موقف الثوريين الأشاوس الذين قاتلوا الاستعمار، وأقلقوا راحته عشية حرب التحرير، ونخلد ذكراهم، ونحتفظ لهم بالذكر الحسن، والتخليد الأبدي، وخاصة حملة السلاح الوطنيين، أبناء الإسلام، الذين كافحوا العدو لأنه عدو، وماتوا لأن الموت في الحرب ضد الكفار شهادة.

أما أولئك الأذكياء من ثوار الأفكار الشيوعية، وحملة المبادئ الماركسية، فما كانت ذكريا م في أوطاننا إلا أ م قدموا الخدمة للعالـ ـمية المنحرفة، فأسهموا في إخراج الاستعمار الأصفر؛ ليملّكوا الأرض والدين والأمة للاستعمار الأحمر.

لقد عانى المواطن اليمني نكباتٍ ونكبات ، ولكن نكبته العظمى عشية وقعت قوى الثورة المتـ ـمردة اتفاقية التـ ـمركس مع العالـ ـمية باسم أحفاد الأنصار وباسم الحكمة اليمانية والفقه اليماني، وإنه لعار وأي عار.. وخزي وذل لا تـ ـمحوه حركة الليل والنهار.. وإنا للّه وإنا إليه راجعون.

وهم الإنتاج وعسلية الشعارات

سئل رمز من رموز النظام خلال مرحلة استلام الحكم:

- ما هو منهاجكم السياسي ؟
- قال : الاشتراكية العا ـ مية.
- ولـ ـم الاشتراكية العا ـ مية ؟
- لأ ا قَدر الشعوب.. واختيار العصر.. وعلاج الأزمات.

وسئل الرمز ذاته، وقد دارت عجلة الدفع حتى أوصلته إلى القمة.. وعلى أنقاض من الجماجم والشعارات الزائفة:

- ما تقولون في ظاهرة الهجرة الكثيفة غير المشروعة عن البلاد ؟

فقال : يكفي أن نقيم الاشتراكية بربع الشعب !

وليت ربع الشعب بقي متـ ـماسكاً مؤمناً بالأحلام، وموسيقى الأنغام، التي تبثها أجهزة الإعلام. لقد عاشت المساحة الجنوبية من اليمن الأم منذ بزوغ فجر الاستقلال المنشود، وهي تحلـ ـم بتطبيق الحلـ ـم الواعدِ «الاشتراكية العا ـ مية».. وعدِ الزعماء

وفتنةِ الدهماء.. حيث يرى بعضهم أ ا كانت ثوباً أكبر من حجمِ لابسه، فتعثر منذ بداية أمره وسقط ومات. ومنهم من يرى أ ا كلابس ثوب ضيق جداً، فاختنق به صاحبه مع بداية نشوة الإلباس والالتباس.

إن إقامة مبدأ الاشتراكية العلـمية في جنوب الوطن كان تجربة جديدة في ساحة الوطن العربي كله، ولـم تأت وليدة الصدفة. ورغم أن عدداً من البلاد العربية عبرت عليها موجات باردة من لفحات الصحارى السيـبـيرية - رائدة المبدأ الاشتراكي - إلا أن الفرق بين الحالتين: أن المنطقة انتقلت كلها هدية إلى الصحاري السيبيرية لتـتـنزى فيها الدببة من كل المقاييس والأحجام، بحيث صعب العود إلى الواقع المسلـم مرة أخرى رغم التـمويهات الحربائية التي أظهر ا بعض الشخصيات السياسية إبان التـمرحل.

لقد برز منذ البداية موقف الرفاق صلباً في تطبيق المبادئ :

١- هدم الملكية الخاصة، ونزعها، وإقامة القطاع العام.
٢- تأميم المصانع والـمساكن الخاصة، ومصادرة أموال وأراضي الإقطاع.
٣- إنشاء قطاع التعاونيات والـمزارع الجماعية على غير ثوابت شرعية.
٤- دعم الانتفاضات الفلاحية،ومصادرة الأراضي الزراعية وإعادة توزيعها على الكادحين.

وكان لابد من الإجراءات القمعية، قمة وقاعدة؛ لتحقيق هذا التحول الرأسي والأفقي في الواقع المكدود. ومرت ما تسمى بالأيام السبعة كحالة طوارئ في المساحة الجنوبية من اليمن الأم من طرفها إلى طرفها آنذاك ، قفزت فيها العناصر السياسية على واقعها البسيط وكلفته عناء الانطلاقة الشوهاء.

إن الشعارات التي رفعتها السلطة لتكون نبراس المرحلة الجديدة، ورأس الحربة في امتلاك وسائل الإنتاج؛ أصابت الأمة عموماً -والفلاحين والعمال خصوصاً- بنكسة وإحباط شديدين لا ينقطع أثرهما إلى يوم الدين.

فالـمقولة الثورية : «الأرض لـمن يفلحها» و«من لا يعمل لا يأكل» أخذت مساحة واسعة من الجهد والتطبيل والتحليل والتدجيل، وأغرت عقول المنجرفين والـمتعجرفين بجدواها، فجندت كافة الطاقات للـمبادرات، وصياغة الشعارات، وترديد الهتافات، واتساع الحدقات دون استثناء أو توقف، وكان موقفاً لا يمكن معه التفكير، ولا يهب للعاقل أن يتفوه أو يشير، فكل كلـمة تفسر، وكل إشارة تحقر، وقد يذهب صاحبها إلى سوء المصير.

وكاد جنوب الوطن أن تشرق بالـمسيرات والحديث عن الإنجازات واا ول واللقاءات، وهدير المهرجانات واستعراض الحراثات والآلات، واستخدم المناضلون والـمناضلات كل شيء في سبيل الدعاية والإعلام حتى مآذن المساجد.

وخلال شهور لا تتجاوز العام أو العامين بدأت أصوات الأهازيج تخفت، ورائحة السرجين[1] المنبعثة من أقدام أصحاب المسيرات تذهب، وظهرت حقائق الواقع المؤلـم، وفجائع الفقر المدمر.

وظهر بوضوح أن التجربة لا تحمل الحل، ولا تـملك استـمرار التفاؤل به. وبدأت محاضرات الرفاق تـمتزج بالتلبيس والنفاق، وبالحذلقة والسفسطة المثيرة للإشفاق، واتجهت الأنظار من جديد، إلى ضرورة استخدام النار والحديد، لإلهاب حماس الشعب ا يد.

---

(١) السرجين هو مخلفات الحيوان المختلط بتراب الأرض.

لقد كانت سلبيات التجربة الاقتصادية مثيرة وكثيرة، ولكو ا منذ وضعها على ساحة العمل سلبية؛ فما كانت محاولات تطبيقها إلا امتدادا خطيرا للسلبيات والدمار.

ولعل من أخطر عناصر الإحباط التي تجشمتها الأرض الطيبة من تجربة الاشتراكية العالـمية ما يلي :

١- النقل الآلي للتجربة الاشتراكية دون اعتبار لواقع المنطقة، وظروف الأمة المسلـمة، وثوابتها الإيمانية.

٢- معاملة الملاك للأرض ورجال الدين والتجار بما يتنافى عقلاً مع قواعد الحياة الاجتـماعية والعلاقات الإنسانية، فضلاً عن قواعد الدين وخلق الإسلام.

٣- بروز قانون الإصلاح الزراعي، وتطبيقه منذ بداية مرحلة الاستقلال بنجاح وحماس واندفاع خال من التروي، والانضباط الأخلاقي في التعامل، مع تجاوز القادة والزعماء مستوى وعي المواطن، وخصوصيات الوطن التاريخية[1] .

---

(١) ويذكرنا جميع ذلك بما قاله الشاعر العراقي أحمد مطر في إحدى قصائده بعنوان «إصلاح زراعي» ، يقول:

قرر الحاكم إصلاح الزراعة..
عين الفلاح شرطي مرورٍ..
وابنة الفَلاّح بياعة فُولٍ..
وابنه نادل مقهى..
في نقاباتِ الصناعة!..
وأخيراً..
عين المِحراثَ في القِسمِ الفُلُوكلُوري..
والثور.. مدِيراً للإذاعة!!..
...
قَفزةٌ نوعيةٌ في الإقتصاد..

إن تطبيق القانون ا لجحف كان قضاء على حركة الإنتاج الزراعي بصورة غير مباشرة، فالأراضي الخضراء التي كانت تغطي حاجة المنطقة وتسهم في الاكتفاء الذاتي للـمواطن في طول البلاد وعرضها: كلها كانت متوقفةً على نشاط المزارع المالك الذي كان مهتـماً بإنتاجه، ومعتنياً بمزرعته، وتسويق محصولاته، وامتلكها الفلاح والعامل القاصر عن القيام بمهمات العمالة، وخدمات المزارع وتـمويلها ، فأوجد ذلك ضعفاً في المحاصيل، وسوءاً في تسويقها.

لقد أصبحت عملية تسويق الخضار والفواكه منذ إعلان هذا القانون قائمة على الإشراف والتخطيط والتنفيذ المركزي، مما حدا بالـمسؤولين على هذه المراكز إسقاط قيمة المحاصيل عند شرائها من الفلاح، ثـم التحكم بالأسعار عند بيعها في العواصم والـمدن والقرى، مما كان له الأثر الكبير على المستهلك.

وزاد الطين بلة ظهور حركة الانتفاضات الشعبية عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ م ، وهي التي أفرزت تطبيقات اقتصادية جديدة كتجربة المزارع الجماعية بعد سلبها من المالك الأصلي، وشكلت في مختلف المناطق ما يسمى باللجان الفلاحية، والتعاونيات، وهي تـمثل سلطة داخل سلطة.

لقد كانت هذه التجربة القاصرة من أبشع التجارب القاضية على روح الطموح والـمسؤولية، كما قضت على حركة الإنتاج.

إن التعاونيات الفلاحية التي فرضتها القوانين الجديدة وجدت نفسها في آخر المطاف تدفع عن الفلاح الكسول الغذاء والدواء وخدمات التشغيل دون مقابل عملي أو إنتاجي، بل صار الفلاح عالة على ثـمرات الانتفاضة ومستثـمرا لها.

أصبحت دولتنا الأُولى بتصدير الجَراد..
وبإنتاج المَجاعة..

وكانت الكارثة..

أهملت المزراع وتعطل الإنتاج، وأخذ الفلاحون يكيد بعضهم لبعض، وتحملت الدولة مسؤولية التجربة بشجاعة، فظلت تغدق الأموال على بطون الكادحين. والكادحون يكتفون بتأييد القرارات، ومشاركة القيادة في الشعارات، ولا غير ذلك.

إن التعاونيات الفلاحية والانتفاضات الشعبية، في كل من وادي حضرموت، ووادي دوعن، وحجر، وميفعة، ورضوم أضعفت الإنتاج المعهود من التـمور، وتحولت تلك المزارع الكبرى إلى أعجاز نخل خاوية إلا ما لا يذكر ولا يسمن ولا يغني من جوع.

أما في وادي أحور فقد أثـمرت الانتفاضة بعد مصادرة الأرض قيام الدولة بمسح الأراضي الزراعية من جديد، وخلط ملكيات الناس خلطاً يصعب إعادته وتحديد أماكنه الشرعية الموثقة، ثـم أعادت اللجان الفلاحين توزيع الأرض من جديد، بحيث أبى العديد من الملاك مباشرة العمل في الأرض التي لا يملكها، وتعطلت مساحات واسعة، وأراضٍ شاسعة.

كما قامت الدولة ببناء سدود لتصريف المياه على أساس نظام القنوات، فكانت كارثة الكوارث:

١- توقف سير السيول عن مساحات كبرى في جانبي الوادي.. كانت تشرب وفقاً لنظام الري القديم.

٢- عجز السدود المنشأة من تحمل ضغط المياه، مما حول الماء في القنوات إلى طوفان دمر الأرض المخلخلة بالـمسح، وحمل التربة الصالحة إلى البحر، واقتلع عشرات الفدادين مرة بعد مرة لتدخل ضمن مجرى المياه العام.

لقد صارت مسألة السدود وإشاد ا مؤامرة على الأرض والفلاح، تضاف على مؤامرة المسح والـمصادرة.

لقد كان من الأولى لدعاة التقدم والبناء -لو كان هنالك ما يدل على ذلك- أن يتركوا أراضي وادي أحور وحناذ لأهلها، ليضمنوا سير الإنتاج وتغطية السوق بما تحتاجه، ثـم يشيدوا سدودا حافظة للـماء ومصرفة للزائد منه، بحيث يحول الماء إلى الواحات والأودية والصحاري المترامية في جانبي الوادي الكبير، وتوزع تلك الأراضي على الفلاحين والـمعوقين والكادحين، ليعيدوها جناناً خضراء ربما نافست أراضي وادي أحور كلها.

إن سياسة النظام، أو قل: سياسة المهندسين للنظام.. أعداء الشعوب المسلـمة.. وأعداءِ خصوبة الأرض وبركة الامتلاك.. سماسرةِ السوق العالـمية؛ هؤلاء نفذوا خطة التجويع للشعوب من خلال شعارات الصداقة وتبادل المنافع، كما نفذوا خطة الحرب والسلام ذاته، من خلال رموز الانفعال بما قدموه من سحل، وقتل، ومصادرة، وخطف، واستهتار بالقيم والآداب المتوارثة من عهد صدر الإسلام.

إن البشاعة الدموية التي رافقت الانتفاضة الشعبية، والتجذير الاقتصادي في المنطقة، ومعها زوبعة الإعلام يدل على النوايا المريضة التي كان الشرق المادي يكنها نحو «أرض الإسلام والسلام»؛ تتـميماً وإكمالاً لدور الغرب الرأسمالي الذي ترك الطريق وأخلاها، ممهداً للوطن بديلاً عالـمياً في الهتك والتدمير.

لقد امتهن الحزبيون شعائر الإسلام، وسفهوا علناً أركانه، وأصروا على اقتلاع ثوابته من الجذور، {ويمكُرونَ ويمكُر اللّه واللّه خير الماكِرين} [الأنفال:٣٠].

لقد بلغ بالـ متهورين الحزبيين مع زخم الانتفاضة الفلاحية في منطقة أبين وجعار والحصن أن استغلوا كل الوسائل البشعة لإرهاب المواطنين العزل، تحت شعار : «سحق الإقطاع واجب» .

لقد سحل العديد من المواطنين في شوارع المدن، وبصق الحزبيون على وجوه المعذبين، وقيدوهم بالحبال، وساروا م في الشوارع يهتفون بالشعارات المهينة:

الانتفاضة عنف منظم وصراع طبقي أقوى صراع
لا سلبية لا تراجع لا تذبذب لا خداع

ويقول شاعرهم :

اليوم يا فلاح عادت الأرض لك
من بعد ما كنت تعملها أجير
قم بانتفاضة ذي ترجع حريتك
باتسحق الإقطاع في اليوم النوير
اليوم شف الإقطاع يشبر خطوتك
يمسي فؤاده كنه الطائر يطير
قد كان يا فلاح يسرق لقمتك
لا حان تكموش الثـ مر جالك حذير
يقول ذا عندك وذا في ذمتك
بعضه في الشيمة وبعضه في النظير
هم سرحوا بوشك وفضة حرمتك
في دين كيلة بر أو مصرا شعير
كم شبع عياله وجوع أسرتك

واصبح غني وانته قفا دينك فقير

مسكين يا فلاح ما انكد عيشك

مضى زمانك وانت في الكوخ الحقير

لـما متى وأنت ملازم حجرتك

تسمر على الموقد وترقد عالحصير

وقصر الاقطاعي بـنـي من أجرتك

فيه المتاكي والـمجالس والسرير

يمسون في الراحة وهي من راحتك

وانته مع الأثوار تـمسي والحمير

يا خطوة التصحيح عاشت خطوتك

حررتي الفلاح ذي قلبه كسير

وفي هذا المضمار كتب أحد الثوريين : إن انتفاضات الفلاحين الفقراء والـمعدمين قد استطاعت تنوير كل شيء، وتغيير المعايير القديمة المتخلفة على صعيد الممارسات اليومية، وصعيد المواقف الثورية، أو عكسها.

وعندما يصرخ العنف المنظم ضد أعداء الكادحين لا يمكن أن يخفي نفسه:

يوم الرابع والخامس من سبتـمبر حطمنا الإقطاع والكهنوت

واستولينا على الأرض البور بالعنف الثوري والباروت

إن الأعمال الإجرامية التي رافقت زخم الانتفاضات تسائلنا اليوم:

أين ذهب أولئك؟ ولـمن كانوا يعملون؟ وما هي المنجزات الملـموسة على صعيد التاريخ القريب ؟

أي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة الانتفاضة ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة التأميم ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة المزارع الجماعية ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة القطاع الصناعي الهش ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة التعاونيات الفلاحية ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة مسح الأراضي الزراعية ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة إطلاق حريات المرأة ؟
وأي مكسب حقيقي اكتسبته الأمة من تجربة التعاونيات السمكية ؟

إن المكسب الذي كسبه الوطن عموماً من الانتفاضات والتحولات، هي الجرأة وكسر حواجز الوهم، ولكن ما خسره أعظم وأشد وأنكى.

إذ إن الجرأة أورثت في المجتمع ميوعةً في الرجال والنساء، وضعفاً في مردودات الاقتصاد، والعمل الزراعي والصناعي، وهجرة الآلاف من الجماهير عن الوطن إلى دول الجوار، وصراعاً دموياً بين المناضلين الثوريين أفرغ الثورة من محتواها الأساسي وأهدافها الغائية.

وأما كسر حواجز الوهم فقد أورث الجيل المخدوع إنكاراً للشريعة والدين، وإنكار وجود الحق سبحانه، والإيمان بأنه لا إله، وأن الحياة مادة، وإنكار وجود الحق سبحانه، وأما ما ترتب على هذه العقيدة الزائغة فقد كان أوسع وأضر.

لقد شهد جنوب الوطن منذ ظهور آثار الفشل لتجربة الانتفاضات واللجان الفلاحية والتعاونيات وغيرها من المؤسسات القائمة على النهج الاشتراكي ما يلي :

١- دمار المنشآت الاقتصادية في العواصم والأرياف.

٢- النهب المدبر والاختلاس المنظم الذي يمارسه المدراء، ومسؤولو الماليات والأعمال الحكومية.

٣- المحسوبية والرشوة.

٤- الهجرة إلى خارج الوطن.

٥- تحطيم الآلات الزراعية، وتخريب المباني، وسرقة أثاث وأواني وسقوف وأبواب المؤسسات والمدارس والتعاونيات من خلال التسيب والإهمال المفتعلين.

وكانت معالجات الرفاق لهذه الظواهر هو المزيد من الرقابة العمالية، والجاسوسية الطبقية التي تشغل الناس بفرقعة البنادق، وتصفيق الأيداي، ورزح الأقدام، ورائحة الموت المنبعثة من حمى الانتصارات الوهمية.

وحتى أولئك الأوباش المرتبطون بالتنظيمات يفاجؤون حيناً في مواقف معينة بأنهم كانوا على حالة من الترقب والتوجس والتربص، وأن علاقتهم بمرؤوسيهم «قشة على حفرة» .

ومعناه - على ما أعتقد - أنهم لا يتجاوزون مهمة التجييش للضحايا المخدوعة، ويفرشون الأمل السراب لعشاق المسخ والنسخ، والتشفي من كل عزيز أو كريم.

إنهم في كثير من الأحيان لا يدركون من مهماتهم إلا الاستماع إلى التقارير الجاهزة، والتصفيق الحاد للبيانات والخطابات، ورفع اليد بالبطاقة عند التصويت، والثرثرة عن منجزات الطبقة العاملة، وهكذا دواليك، فالأصوات قنوات، والتأييد رافد، والديمقراطية التي تجمعت في القمة تحت مفهوم المركزة تعني جمع الأنصار والمؤيدين في قنوات السلطة المتدرجة، كل حسب أثره وتأثيره في القاعدة.

وملفات المحاسبة جاهزة لكل فرد وفريق، والأصابع الخفية تتحرك في صمت لتخنق أصوات الأحياء، أو تنفخ في مسامع الأموات تهنئهم بالشهادة، وتستثمر تهانيهم

وحشية وإرهاباً يقض مضاجع الرعايا ويلهب حماس العضايا الناهشةِ روح الحياة في الأمة المغلوبة.

إن مفهوم المركزية في التخطيط أو السياسة حول العناصر التحتية إلى آلات ورموز وأصابع تنفيذ صماء، ساعدت على خلق روح الإرهاب في مواقع الإنتاج والعمل، وأفسدت روح الإخلاص لدى العامل والإدارة؛ إذ تقوم الرموز التحتية برفع التقارير المختلَقة ضد الأفراد من العاملين والــمدراء المسؤولين لــمجرد أدنى اختلاف، وحيناً تتغلب الظنون السيئة على عمال المؤسسة فيكون دافع التقارير أو الشكاوى المزاج والشللية، إذ ذه الكيفية يتــم العزل والإيقاف والطرد، و ا أيضاً يتــم تكريم وترقية الأفراد، وتحسين أوضاعهم الوظيفية، و ا من جانب آخر يتــم نقل الأفراد غير المرغوب فيهم، أو تجميدهم، أو سلب صلاحيا م من العمل.

إن كثيراً من العمال والــمدراء المخلصين للعمل يتــم توقيفهم وإجلاء أتباعهم، تبعاً لل وات والرغبات الذاتية. بل ربما وضِع إلى جانب المدير والعامل غير المرغوب فيه رجلٌ أو موظف آخر لإيجاد جو الريبة والشك والاحتكاك المباشر، الذي يؤدي في النهاية إلى انسحاب العضو غير المرغوب فيه، وتحويله برغبته وقناعته، أو وقوع المحذور من الاشتباك المؤدي بطبيعة الحال إلى السجن أو الفصل النهائي عن العمل.

إن كثيراً من الأساليب المتبعة في مواقع العمل والإنتاج تدل على انعدام الحس الإيماني الشرعي، أو هي انقلاب سلوكي مشين ، فالعناصر المحركة للأمور قد تتخذ تلطيخ سمعة الرجل أو المرأة غير المرغوب فيها أسلوباً، بإشاعة الأكاذيب وتلفيق الأضاليل وإثارة الشبهة الخارجة عن الحشمة والأدب، مما يؤثر على الموقع الوظيفي للأفراد، وعلاقتهم بالعمل والعمال.

إن التجربة الاقتصادية الماركسية التي شهدتها المنطقة خلال أعوام الانتفاضات، وما تلاها من قفزات السلوك، والإجراءات الاقتصادية الفجة؛ لشاهد حالٍ بين على ما بلغت إليه المنطقة من التخبط العشوائي بأيدي سماسرة الأفكار، والتطبيقات الشرقية أو الغربية، المتحالفة على إنهاك وإحباط النفسية المسلمة، وضرب مقدراتها الاقتصادية والاجتماعية.

التحريف يؤدي إلى الانحراف

كتب الأستاذ زكي أبوشادي كتاباً سماه « ثورة الإسلام » (1) استعرض فيه الآراء الاستشراقية حول الدين الإسلامي، وما يقوله المفكرون العالميون حول الإسلام، وخاصة تلك الأقوال المسمومة ذات الحملة المسعورة ضد التشريعات السماوية، وقوانين العدل الإلهي، وضد المفاهيم الأساسية للدين والرسالة ، ومما استوقفني من هذه الأقاويل التي تحمل سياسة التضليل رأي للمستشرق الأوروبي بيليف يقول فيه: إنه استطاع أن يقف على حقيقة تاريخية هامة ، فمسيلمة الكذاب كان حنيفياً ، وأن دعوته كانت دعوة سابقة لدعوة الرسول محمد ، وأنه كان يدعو إلى أخلاق الأنبياء، والأصفياء، وكانت له آراء اقتصادية واجتماعية عادلة ، ولكن التاريخ أغفله أو تغافل عنه نتيجة الحملات الدعائية، والتعصب السيء في كتابة التاريخ، وخاصة بعد ظهور الإسلام. ويرى المستشرق بيليف أن القرآن في مواقع كثيرة جاء متأثراً بأفكار مسيلمة .

وهذا القول من مفكر كافر لا غبار على وجوده وحصوله، والكافر ينصر الكفر وأتباعه، ويستلهم من الشيطان وحوادث الزمان ما يضلل به على كثير من الدهماء والغوغائية وهيشات الأسواق.

---

(1) اطلعت على الكتاب في إحدى مكتبات المدارس الثانوية بمدينة عدن سنة ١٩٧٨م.

وما وجدت هذه الأقاويلُ طريقَها إلى عالـمنا الإسلامي والعربي إلا بعد أن امتلك الكافر مساحة من التأثير وشراء الضمائر والعقول والقلوب. واستطاع من هذه المساحة القائمة على التزوير والاغتصاب وشراء ضعاف النفوس أن يصنع جيل القرمطة والقرصنة والعلـمنة والتـمييع والابتذال.

وتاريخ الانحراف وتشويه حقائقه ليس جديدا في عالـمنا الإسلامي والعربي. فالكافر ينسج الضلالات تلو الضلالات، والعقل المستسلـم في الوطن المتهالك يستجيب لهذه الضلالات، ويترجمها بلغة الواقع، وفرقعة القواقع، والـمصالح الدنيوية تقف حاجزاً بين المرء والحقيقة، وهاك الأمثلة[1] :

جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم بالهدى ودين الحق ، فآلـم كثيراً من العرب المضريين وغيرهم، لا سيما ربيعة، وكان الفتح ساتراً لـما ينطوون عليه، وأول خروج على الإسلام كان حادثة ذي الخويصرة ، فقد روى البخاري في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة التـميمي - وهو رجل من بـنـي تـميم - فقال : يا رسول اللّه.. اعدل . فقال : ويلك ! ومن يعدل إذا لـم أعدل ؟ فقد خبت وخسرت إن لـم أكن أعدل. فقال عمر : يا رسول اللّه : ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال : دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلا م، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...إلخ ». اهـ.

(١) نقلاً عن مقدمة «الروض النضير» لـمؤلفه القاضي شرف الدين الحسين بن أحمد السياغي ، بتقديم محمد سعيد العوفي.

هذا الحديث يخبرنا عن الواقع، وعن الآتي ، فأما الواقع فإنه قال : له أصحاب ، ولولا ذلك لـما جرؤ على هذه الحركة، فإ ا لجرأةٌ غريبةٌ تنادي على عدم إيمان قائلها، إذ نسب إلى الرسول عدم العدالة، وأما عمر فإنه غلبته الغيرة الدينية فطلب قتله غير ملتفتٍ إلى أن لهذا الشخص أعواناً كثيرين.

لقد كان ذو الخويصرة فاتح باب الخصام مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم بطريق واضح، ثـم تكرر ذلك من غيره.

وأما الآتي فهو بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم، كانت الفرصة سانحة للـمنافقين في إظهار عداو م للدين الإسلامي، وتبين أ م كانوا يجاهرون بالدين الإسلامي إما رغباً أو رهباً، ولعل عيينة بن حصن الفزاري قد أفصح عن رأيه تجاه مدعي النبوة « طلحة الأسدي » كما نقله الطبري في « تاريخه »، وهذه عبارته : واللّه لأن أتبع نبياً من الحليفين - أي غطفان وأسد - أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش ، وقد مات محمد وبقي طلحة ، فتابعوه .

وفي تاريخ ابن الأثير ، وتاريخ ابن جرير : وجاء طلحة النمري إلى مسيلـمة الكذاب فسأله عن حاله، فأخبره أنه يأتيه رجل في ظُلـمةٍ ، فقال: أشهد أنك لكاذب، وأن محمداً صادق؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر .

وروى أبو داود في «سننه» : لقد أعلن الحجاج من على منبر الكوفة أن الخلافة أفضل من النبوة والرسالة[1].

ومن بعده استعر القتال واستفحل بين المسلـمين بعد أن أصبح للانحراف قوةٌ يعتد ا، واختلط الحابل بالنابل، وتطور الانحراف مبتعداً عن ساحة الدين خطوة خطوة.

---

(١) المصدر السابق ص٨ .

ووجد العطشى للـمساس ذا الدين سلوكاً سيئاً يمكن الاعتـماد عليه في ركوب الشطط للدخول إلى جسد المسلـمين، وامتلاك دفة تصريف أمورهم، وكانت نتيجة الائتلاف النسبي من عناصر الانحراف ظهور الفرق المتناحرة والفئات المتنافرة حتى عصرنا هذا.. ولا زال للانحراف بقية.

إن المستعرض للـمقولة العرقية ذات العصبية القومية التي تحدث ا آنفاً عيينة بن حصن الفزاري وطلحة النمري تجاه الكذّابين في عصرهما يجد أن أحداثها تكررت بصورة متطورة.

فالنبوة كانت ظاهرة ذلك العصر وبرهانه ، أما اليوم فالأمر منعكس تـماماً ، فالفلسفة المادية قد أسقطت المسألة الروحية من السماء إلى الأرض كما يقولون.

وقراصنة اليوم في ا تـمع الجديد ينطلقون من ذات البؤرة المنحرفة في العلاقات الإنسانية، وكتابا م ونشرا م خلال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية تؤكد مدى إغرا م بقافلة الوطن المسلـم عن جادة الطريق، وتكثيف دعايا م المسعورة ضد الإسلام ومبادئه العادلة.

وجاء الشاعر الرمز في قصيدته « الكتابة بالسيف » يبلور حربه الشوهاء ضد الإسلام من خلال ما وعاه عقله من حجة تولية « باذان » الفارسي بعد إسلامه على اليمن، فيقول :

ذو يزن..
بشجاعة شعبه.. مآثرهم.. بأشهب سيف اليماني..
وومض الذكاء - الفراسة.. أيصبح ذاك الذكاء غباء..
وكالليل حين يلف النهار.. اوى على أرضنا ذويزن..
وصورة باذان غطت شوارع صنعا..

وباذان هلاّ يعود إلينا بألوان أخرى ...؟

وعلق حسن عزعزي على هذه العبارة « وصورة باذان » : باذان نائب كسرى، والمندوب السامي في صنعاء حسب المصطلح الحديث ، قد تمكن عبر مد يد العون والمساعدة من السيطرة على اليمن، وبعد أن نصر اليمنيون الإسلام بعقولهم وسيوفهم أعلن باذان إسلامه، وهكذا عين المندوب السامي لكسرى مرة أخرى حاكماً على اليمن بوجهه الجديد.

وكانت قضية باذان واحدة من صور التعليل للإغراب والاغتراب، ومثلها قضية عمرو بن معدي كرب الزبيدي، فقد جعلها الشاعر الرمز إحدى مواد المحاكمة الرسمية للإسلام في قصيدته « الكتابة بالسيف.. حديث معاصر لعمر بن معدي كرب الزبيدي » الثائر اليمني المعروف المتمرد على فساد وهيمنة الارستقراطية الإقطاعية للسلطة الإسلامية، والداعية المادي للعدالة الاجتماعية.

وعلق الكاتب حسن عزعزي على هذه المقولة فقال : عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان أول ظاهرة تمرد واع في الإسلام لأسباب سياسية واقتصادية محددة.

وقال عنه أيضاً : لقد صدم عمرو بن معدِي كَرِب بتسلط الأرستقراطية القرشية السياسية، وصدم باستئثار هذه الأرستقراطية الاقتصادية ببيت مال المسلمين، واصطدم بهذا الظلم المزدوج فثار مطالباً بالمساواة والعدل فقال :

إذا قُتلنا ولا يبكي لنا أحد ... قالت قريش: ألا تلك المقادير

نعطى السويةَ مِن طعنٍ له نفد ... ولا سوية إذ تعطى الدنانير

ولـما كان رائحة الطعن في الإسلام وشخوصه بادية في هذا التحريف المفتعل أخذت أتابع قضية عمرو بن معدي كرب في بطون كتب التاريخ لأتبين وجه العلة التي تشبث ا الشاعر الرمز وتابعه.

جاء في « دائرة المعارف القرن العشرين [(١)] » : حدث يونس وأبوالخطاب قال : لـما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلـمون أسلحةً وتيجاناً ومناطق ورقاباً، فبلغت مالاً عظيماً، فعزل سعد بن أبي وقاص الخُمس، ثـم فرق البقية، فأصاب الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين، وبقي مال كثير ، فكتب إلى عمر بن الخطاب بما فعل، فكتب إليه أن قُض ما بقي على حملة القرآن ، فأتاه عمرو بن معدي كرب، فقال سعد : ما معك من كتاب اللّه ؟ فقال عمرو : إني أسلـمت باليمن ثـم غزوت فشغِلْت عن حفظ القرآن ، فقال : مالك في هذا المال من نصيب ، وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر فقال له سعد : ما معك من كتاب اللّه ؟ فقال : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ولـم يعطه شيئاً ، فقال عمرو بن معدي كرب هذه الأبيات الآنفة :

إذا قُتلنا ولـم يبكِ لنا أحد   قالت قريش: ألا تلك المقادير
نعطى السوية من طعنٍ له نفد   ولا سويةَ إذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة الخثعمي :

أنخت بباب القادسية ناقتي   وسعد بن وقّاصٍ علي أمير
وسعد أمير شره دون خيره   وخير أميرٍ بالعراق جرير
وعند أمير المؤمنين نوافلٌ   وعند المثنى فضةٌ وقرير
تذَكر هداك اللّه وقع سيوفنا   بباب قُديسٍ والـمكّر عسير

---

(١) (٦: ٧٠٣) .

إلخ الأبيات.. فكتب سعد إلى عمر بما قالا وما قال لهما وبالقصيدتين، فكتب إليه عمر: أن أعطهما على بلائهما، فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم.

والواقع أن عمر بن الخطاب في صلابته وقوته كان قادراً على أن يمنعهما ما ليس لهما في العطاء، خصوصاً أن في العسكر من هو مثلهما، ولـم يكن عمر ولا سعد في موقفهما العادل أرستقراطيين كما عبر الشاعر الرمز وتابعه، وإنما كانا عادلين في القسمة، وزاد عمرو بن معدي كرب من المال لـما عرف من حبه له، ويؤيد هذا القول ما ورد في « دائرة معارف القرن العشرين » [1] ما صورته: روى الشعبي قال: إن عمر بن الخطاب فرض لعمرو بن معدي كرب في الغنيمة ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألف هاهنا - وأومأ إلى شق بطنه الأيمن - وألف هاهنا - وأومأ إلى شق بطنه الأيسر - فما يكون ها هنا ؟ - وأومأ إلى وسط بطنه - فضحك عمر وأمر له بخمسمئة.

وأخطأ العزعزي في نسبة الأبيات التي مطلعها :

أنخت بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقّاص علي أمير

حيث نسبها إلى عمرو بن معدي كرب، وهي في الواقع ليست إلا لعمر بن ربيعة الخثعمي، قالها في نفس الحدث الذي وقع بين سعد وعمرو بن معدي كرب الزبيدي.

إن وصف هؤلاء الكتاب دين الإسلام بالإقطاع، ووصفهم الأحقية القرشية بالأرستقراطية لأمر يؤكد حقيقةَ الانحراف الفكري وسوء العلاقة بالديانة الإسلامية وشخوصها .

---

(١) (٦: ٧٠١) .

تعالوا لنقرأ شيئا نسيه الكتاب

كتب الشاعر الرمز في قصيدته « الكتابة بالسيف » برهانا آخر على انحرافه الفكري، وتنكبه عن طريق الدعوة الإسلامية التي نصر ا اليمن عبر التاريخ ، فقال:

تاريخنا .. آه .. كيف نسينا تجاعيده..
ورقصاتنا.. حفائرها.. ترسم المسكنة..
والآن .. تقرع أجراسه.. أما من جواب ؟
تعالوا تعالوا لنقرأ شيئاً نساه الكتاب[1]..

لقد أثبت الشاعر الرمز أن لديه شيئاً نسيه القرآن ولـم يذكره !! وقد عبرت عن قلقي عشية قراءة القصيدة فقلت:

سبحانك اللّهم هذا منكر..
ِاغْفِر ِلشِعرِي أنْ يذِيعه..
أنا مسلِـم..
أعتز أني مسلِـم..
فلْتبقِني يا رب مأمونَ الخَدِيعةْ..
أنا فيك يا مولاي..
أنثُر قُوتي الدنيا..
ِلتلْهمني التقَى والإتكَالَ على أحاجِيك المَنيعةْ[2]..

(١) « مجلة الحكمة » ص٥١.

(٢) وللقصيدة بقية ذكرناها كاملة في مقدمة قصة « الخروج من الدائرة الحمراء » مطبوع.

إن ما تقرره قصيدة الشاعر الرمز صورة شرسة على طريق الرفض الواعي لـما في كتاب اللّه تعالى .

إنه يرى من منظوره الجديد أن الكتاب السماوي قد أغفل بعض الجوانب الهامة في الحياة، واستدركها الشاعر فقررها، وقال فيما سماه بـ« سفر التكوين » :

هذي الجروح - المآسي فينا.. فجيعتها.. انشقاق..
كسوف القمر.. والنفوس الفيافي العرايا.. مأسا ا..
خسوف لقطعة شمس.. تعشعش فينا طحالب سوس..
كوشم على الوجه.. والوجه وجهان..
آه.. ومنبع ر اليمانيين.. واحد..
تـمزقنا خطوط التواصل..
توحدنا خطوط التقاطع..
فالوجه وجهان..
والأرض مشطورة..
والبشر..
...
الأرض عطشى.. للسيف والـما..
لـمن في حنين يضاجعها.. بذوراً.. يحيل كنوز بكار ا..
جنة.. لت اح موتاً عذاباتنا.. وفي قبرها تتوج عرساً..
لأفراحنا.. وتسقط أوهامنا السالفات..
جنة الانتظار.. فهذا الخيار..
اختبار لنا.. وأي اختبار !

هذه آيات « سِفْرِ التكوين » لدى الشاعر الرمز، وهذه المفاهيم التي نسيها -حسب تصوره- كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولعمري إ ا سفسطة لسان، ووهم عقل جاثـم على هيكلٍ من ا د المتكلف، وصوره الواقع الفياض في صدر الزعيم.

إنه لا يؤمن بجنة الانتظار ..

لا يؤمن بالآخرة والحساب والـمصير..

والشاعر الرمز ومجموعة العمل في إدارته لا يعرفون شيئاً عن مبادئ الإسلام .. ولذلك فهم يسخرون الفكر المنحرف لـمسخ الأجيال بعد أن مسخوا وامتسخوا.

وقف أحد الرموز التربوية يوماً في مكتبة من مكاتب المدارس الثانوية ليحث الطلاب على مطالعة كتاب يسمى « نقد الفكر الديني » للدكتور صادق جلال العظم، وقال عنه : إنه يمثل حالة متقدمة من التحدي السافر ضد العقليات المتعفنة، والأفكار العقيمة.

فماذا في هذا الكتاب ؟

لقد تحدث الدكتور عن « التعليل الإسلامي » للوجود فقال : لاشك أن القارئ يعرف التعليل الإسلامي التقليدي لطبيعة الكون ونشأته ومصيره، خلق الله هذا الكون في فترة معينة من الزمن بقوله: « كن » فكان، ولاشك أنه يذكر حادثة طرد آدم وحواء من الجنة، تلك الحادثة التي بدأ ا تاريخ الإنسان على الأرض.

ومن صلب المعتقدات الدينية أن الله يرعى مخلوقاته بعناية، وهو يسمع صلواتنا، وأحياناً يستجيب لدعائنا، ويتدخل من وقت لآخر في نظام الطبيعة فتكون المعجزات.

أما الطبيعة فقد حافظت على سماتها الأساسية منذ أن خلقها الله، أي: إنها تحتوي الآن على نفس الأجرام السماوية وأنواع الحيوانات والنباتات التي كانت موجودة فيها منذ اليوم الأول لخلقها.انتهى.

إن نقد الفكر الديني عند الدكتور جعلته يكذّب بحقيقة قرآنية، والتكذيب بالقرآن كفر بواح، ولعل مفكراً كالدكتور لا يهاب القذف بالكفر ولا يخشاه، بل ربما تمناه وتبناه.

لقد تجاوز المفكرون المعاصرون من أمثال « العظم » حدود مهمتهم الفكرية والعلمية في الحياة. فالقرآن كلام الله {لا يأتِيهِ الباطِلُ مِن بينِ يديهِ ولا مِن خلْفِهِ تنزيلٌ مِن حكِيمٍ حمِيدٍ} [السجدة: ٤٢] . وصف لنا قضية الخلق بما لا يدع مجالاً للشك فقال :
{وإذْ قَالَ ربك للملائكةِ إني جاعِلٌ في الأرضِ خلِيفَةً قالوا أتجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماءَ ونحن نسبح بِحمدِك ونقَدس لَك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماءَ كُلها ثم عرضهم على الملائكةِ فقال أنبِئُوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتم صادِقين . قالوا سبحانك لا عِلم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العلِيم الحَكِيم . قال يا آدم أنبِئْهم بأسمائِهم فلما أنبأهم بأسمائِهم قال ألم أقُلْ لَكُم إني أعلم غَيب السماواتِ والأرضِ وأعلم ما تبدونَ وما كُنتم تكْتمونَ} [البقرة: ٣٠].

إن التعليل القرآني كلام ثابت، ويحمل معاني الحجة الدامغة لمسألة الخلق؛ لأن الخالق سبحانه يصف لعباده كيف خلقهم ورزقهم، وعلمهم ثوابت وأسس القواعد المعرفية للحياة، ولا يوجد أحد في هذا العالم نسب الخلق لنفسه والإبداع لذاته، وإنما قام الإنسان البشري المخلوق ذاته فتمرد على خالقه وأنكر الثوابت المتعارف عليها عبر الأجيال، وسمى إنكاره علماً وتعليلاً معرفياً، والحقيقة قد وصفها الخالق بقوله: {إنْ يتبِعونَ إلاّ الظن وإن الظن لا يغني مِن الحَق شيئاً . فأعرِض عمن تولىّ عن

ذِكْرِنا ولَـم يرد إلاَّ الحَياةَ الدنيا . ذَلِكَ مبلَغهم مِن العِلـم إن ربك هو أعلـم بمن ضل عن سبِيلِهِ وهو أعلـم بمن اهتدى} [النجم:٣٠].

إن « قصة آدم وحواء » التي أرهق الكاتب عقله وذهنه في إبطالها بما سماه المفكرون مثله « قصة الخليقة » أمر يثير عجب العقلاء.

فأي عيب في الآيات القرآنية والقصة البرهانية عن وجود آدم وحواء، كما صورها القرآن في مواضع عدة تكتـمل ا صورة البشرية، ووجودها، و ا تواترت رسالات الأنبياء، ونزلت الكتب السماوية عبر الأزمان ؟

أهي من الاستحالة بمكان في حق من يقول للشيء كن فيكون ؟ وإن كان العقل البشري يحجم في عقليته مقولة: « كن فيكون » ، فلا يعد ذلك حجة لنفي مفعولها، وإنما تؤكد ضعف الإنسانية عن معرفة السر الذي أبرز هذا الإبداع العظيم في الوجود.

أليس الاحتجاج الذي استند عليه الدكتور هو أمر فرضي متغير لا يمكن الاعتـماد عليه أو الأخذ به مدى الحياة، لأن النظريات العقلانية لا تتجاوز التجربة والـملاحظة والـمقارنة والاستنتاج، وكذلك أمر يدور في فلك قراءة العقل للظواهر المحيطة، والعقل ذاته ظاهرة، ولـم تحسم قضيته لدى العقل المتـمرد معرفة كنهه وكيف جاء.

إن الدكتور وأمثاله من قراصنة اليوم ممن يحلـمون ويجعلون من الأحلام والأوهام علـماً نظرياً ثابتاً، إنما هم في الحقيقة فريسة عقول أخرى، عقول زين لها الشيطان مقولات الانحراف كما زين لقابيل التـمرد على ثوابت الشريعة الأولى، فالدكتور العظم لـم يأت بجديد في هذه المسألة، وإنما كان منبهراً بنظرية المفكر الأوروبي لابلاس، ومتأثراً برسالة للـمستشرق الإنكليزي والفيلسوف المعروف برتراند راسل، وهاك ما يقول :

لقد عبر الفيلسوف والعالـم الإنكليزي المعاصر برتراند راسل عن هذه النظرية العالـمية في قطعة أدبية جميلة عنوا ا « عبادة الإنسان الحر » :

روى مفستوفليس قصة الخليقة إلى الدكتور فاوست قائلاً : دار السديم عبثاً في الفضاء عصورا لا تعد ولا تحصى، ثـم بدأ يتقولب فخرجت منه الكواكب وبردت فتكونت البحار العالية، وارتفعت الجبال واضطربت، ومن كتل الغيوم السوداء هطلت أمطار غزيرة فغمرت قشرة الأرض المائعة، وأخذت نطف الحياة تنمو في قاع المحيط وتكبر بسرعة لتشكل أشجار الغابات والنباتات الضخمة، ثـم ظهرت وحوش البحار تتناسل وتتنازع ويبتلع بعضها بعضاً ثـم تنقرض.

ومن هذا الوحش تسلسل الإنسان فجاء عاقلاً عارفاً بالخير والشر ومتعطشاً للعبادة، ولـما رأى أن العالـم الهائج المريع الذي يحيط به في تغير دائم وأن الكائنات تتنازع لكي تحظى بأي ثـمن بلحظات قليلة من الحياة قبل أن يداهمها الموت قال لنفسه : لابد وأن يكون لهذا الكون غاية حسنة ولكنها خفية، إذ علينا أن نجل شيئاً ما، ولا يوجد في هذا العالـم المنظور شيء يستحق الإجلال والاحترام .

وعندما تتبع الإنسان غرائزه التي ورثها عن أسلافه الحيوانات المفترسة دعا ذلك بالخطيئة وطلب المغفرة من اللّه، ولـما رأى حاضره سيئاً صيره إلى أسوأ آملاً منه بمستقبل أفضل، ومن ثـم اتجه إلى اللّه بالشكر لأنه منحه القوة اللازمة للتنازل عن تلك المبرات التي كانت في متناول يده، عندئذٍ ابتسم اللّه.

ولـما رأى أن الإنسان بلغ الكمال في نكران الذات وفي العبادة، أرسل شمساً أخرى عبر الفضاء اصطدمت بشمس الإنسان فعاد كل شيء إلى سديم .اهـ من كتاب « نقد الفكر الديني » للدكتور العظم.

هذا ما أُعجب به الدكتور الهائم حيث قال : هذا المقطع يلخص لنا بكل بساطة النظرية العلمية الطبيعية للقضايا التالية :

١- نشوء الكون وتطوره.

٢- نشوء الحياة وتطورها.

٣- أصل الإنسان ونشأته وتطوره.

٤- نشوء الديانات والعبادات والطقوس وتطورها.

٥- الفناء والعدم.. ولا أمل لكائن بعدها بشيء..

إنه السديم.. وإلى السديم يعود..

يا سبحان اللّه.. أين هو العلم الذي يحمل البرهان العقلي والدليل النظري لهذه التبويبات الخمس التي استنتجها الدكتور ؟

لقد صور لنا المفكر الفيلسوف لوحة فنية حالمة حلقت بنا في سحائب فكره ووعيه المتداخل المتراكم، وأرعد وأمطر، وأزبد وزمجر.. {إنه فَكر وقَدر . فقُتِلَ كَيف قَدر . ثم قُتِلَ كَيف قَدر . ثم نظَر . ثم عبس وبسر . ثم أَدبر واستكْبر . فقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحر يؤثَر} [المدثر: ١٨-٢٤]، رحلة بدأت من دورة السديم وانتهت باصطدامه بشمس أخرى فعاد إلى السديم !

إنه وهم عجيب، وتمرد غريب، يشبه إلى حد بعيد وهم مدرس الأدب العربي الحديث بكلية التربية العليا بجامعة عدن الذي قال يوماً وهو يتحدث عن تطور اللغة: كان الإنسان حيواناً راقياً تفرع من أرقى سلالات القرود عبر قوانين التطور مرحلة بعد مرحلة، كان بادئ ذي بدء يمشي على أربع معتمداً على يديه قبل أن يتطور حتى تعود الوقوف على رجليه نتيجة حاجته المستمرة لرفع رأسه في الغابات

المثـمرة باحثاً عن الأثـمار في أعالي الأشجار، فكان رفعه المستـمر لرأسه عاملاً هاماً في نضوج دماغه، وتكامل حواسه، ووعيه ..إلخ.

فقاطعه طالب جامعي وسأله : أستاذي، هذا يعني أن رفع الإنسان الأول باستـمرار لرأسه واعتـماده على رجليه خلال تناول الثـمار كان عاملاً هاماً في اكتـمال مراحل الوعي والانتقال إلى الإنسانية العاقلة. قال : نعم، نعم. فقال الطالب: فما بال الدببة بأنواعها تسير إلى اليوم على رجليها وتقطف الثـمار والأعشاب من أعالي الأشجار وترفع رأسها بين الحين والآخر لا زالت مضرب المثل في الغباء والبلادة؟ أتراها ستنتقل يوماً ما إلى مرحلة إنسانية عاقلة ؟

وضجت القاعة بالضحك، وغضب الأستاذ، وأمر بإخراج الطالب من القاعة، وصار اعتراضه بعد ذلك سبباً في اعتباره محرضاً ضد الأيديولوجية الاشتراكية العلـمية، وعنصراً فاسداً. وكتب الطالب شعراً، فقال يوم الأربعاء ٢٦ صفر ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩/١/٢٤م) :

سأبقى أُفَكر حتى الجنونْ..
كمن يتحدى ليالي الصقيع..
كمن يرفض الحُب عند الربيع..
كمن يعشق الجُثَثَ الميتةْ..
يقلب فيها بقايا الجَمالْ..
ويمنحها لـمسةً من خيالْ..
ويستعجلُ الوقت قبل التعفّن..
...
فقد مزق الخوف كل السكونْ..
ووزعني في شؤون الشؤونْ..

وأبعد عني الأماني السعيدةْ..
وأودعني في همومي العديدةْ..
وبث الرعاع أمامي الفِخاخ..
وأُعِلن في البوق حظْر التجولْ..
ومدت حواجز تفتيشٍ صدري..
وجاءت بدايات عصرِ التحولْ..
وصف الجنود..
كجِسرٍ مِنيع..
لقطع الطريق عن الآلهةْ..
فلا شيءَ في الكون غير السديم..
وفي العالـم عاد المثالُ القديم..
وكانَ يكونْ..
ولا يحزنونْ..
...
وسار الجميع إلى الترهات..
وصقل المواهبِ والكلـمات..
وتذبح أحلامنا بالـمدى..
فنحيا سدى..
ونصبح ننشق عطر الصدى..
نحطّم آثار جيل الهدى..
...
ورغم الملابس والجامعةْ..

ورغم حضارتنا الرائعةْ..
ورغم التـمشي إلى المستحيلْ..
أُلطخ أشلاءَ حبي القتيلْ..
شعرت بأني ضئيلٌ ضئيلْ. .
ورغم الفتوةِ فِن ذليلْ..
ففي الدربِ تنتحر المعجزات..
وتفنى المفاهيم مثلَ الرفات..
وأستاذُ جامعتي يتحدثْ..
بأقْذَعِ ألفاظِه اللاذعةْ..
تردد أصداءَه الجامعةْ..
وأن الحياةَ بدت بالتطور..
وأن الحروف تـموت تـموت..
كما تنتهي ورق البنكنوت..
...
وتأتي جيوش اللغاتِ الجديدةْ..
مدججةً بالسلاح الحديثْ..
وتدفَع بالعصرِ دفعاً حثيثْ..
تهدهِد أحلامنا بذكاءْ..
وتحرق أعصاب أهل البساطةْ..
ومن لا يحب دواعي التطور..
...
ولن أستطيع..

ومهما تـماديت في الترهات..
فلن أستطيع..
فدربي منيع. .
وحتى جواد الذكاءِ السريع..
وشعري البديع..
وكل الكناياتِ والأدوات..
تهاوت على باب عصري المريع..
...
وعلق شِعري على المِقْصلَةْ..
ومرت جنود على المَهزلَةْ..
بوقْعٍ مريع..
ومرشٍ فظيع..
يقولون عني: لسانٌ وديع..
وشعر بديع..
يموت ويفنى ويرحلُ عنا.. إلى المقبرةْ!..
ووزع للناسِ شعر جديد..
بحرفٍ حديد..
ونارٍ يؤججها المستفيد..
وربي أعلـم بالآخرةْ..

لقد ركِب دكتور الأدب العربي الحديث شططاً في تعليله، ولكنه معلولٌ بعلة عبادة الوهم النظري كما هو الحال مع الدكتور العظم في إعجابه بالوصف الإنشائي عن

قصة الخليقة، والأعجب من هذا كله أن الدكتور العظم استرسل في تأييده المطلق للنظرية وقارن بينها وبين القصة في الإسلام فقال :

لتقارن بين هذه النظرية العلمية المجردة القاسية الباردة، وبين القصة الدينية الإسلامية الجميلة المرحة الدافئة التي تعودنا عليها؛ نجد أن الغيبيات والملائكة، والصلوات والمعجزات والجن تؤلف جزءاً لا يتجزأ من التعليل الديني لنشأة الكون وطبيعته.

أما النظرة العلمية فقد عبر عنها أحسن تعبير فيلسوف وعالم رياضي هو لابلاس عندما قدم كتابه « نظام الكون » هدية إلى نابليون، فسأله الإمبراطور : وما المكان الذي يحتله اللّه في نظامك ؟ فأجاب: اللّه فرضيةٌ لا حاجةَ لي بها في نظامي. فهل من عجب إذن أن نسمع نيشته يعلن في القرن الماضي أن اللّه قد مات! وهل باستطاعتنا أن ننكر أن اللّه الذي مات في أوروبا بدأ يحتضر في كل مكان تحت تأثير المعرفة العلمية . انتهى.

هكذا يستشهد العظم عن الكون وخلوه من الفاعل الواحد، وهو ادعاء لا برهان له، وأنى يكون لمثل هذا الإلحاد برهان غير الجرأة والطغيان، والتجاوز القاصر، والنظريات التي يتحدث عنها العظم بما فيها من الفرضيات لا تتجاوز القول الحق من الكتاب المبين وهو يقول سبحانه: {وآيةٌ لَهم الليلُ نسلَخ منه النهار فإذا هم مظْلمونَ. والشمس تجرِي لمستقَر لها ذِلك تقْدِير العزيزِ العلِيم . والقَمر قَدرناه منازِلَ حتى عاد كالعرجون القَدِيم . لا الشمس ينبغِي لها أَنْ تدرِك القَمر ولا اللَّيلُ سابِق النهارِ وكل في فَلَكٍ يسبحون . وآيةٌ لَهم أنا حملْنا ذُريتهم في الفُلْكِ المشحون. وخلَقْنا لَهم مِن مِثْلِه ما يركَبون} [يس:٣٧-٤٢] ، وقال سبحانه : {خلَق الإنسانَ مِن نطْفَةٍ فإذا هو خصِيم مبِين . والأنعام خلَقَها لَكُم فيها دِفءٌ ومنافِع ومنها تأْكُلُون. ولكم فيها جمالٌ حِين تريحونَ وحِين تسرحونَ . وتحمِلُ أَثْقالَكُم إلى بلَدٍ لم تكُونوا

بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيلَ والبغالَ والحمير لتركبوها وزينةً ويخلُق ما لا تعلمون} [النحل: ٤-٨] ، ويقول جل شأنه: {وألقى في الأرض رواسي أنْ تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدونَ. أفمن يخلُق كمن لا يخلُق أفلا تذكرون . وإنْ تعدوا نعمةَ اللّه لا تحصوها إن اللّه لغفُور رحيم . واللّه يعلم ما تسِرونَ وما تعلِنونَ . والذِين يدعونَ مِن دون اللّه آلهةً لا يخلُقُونَ شيئاً وهم يخلَقون . أموات غير أحياءٍ وما يشعرونَ أيانَ يبعثُون} [النحل: ١٥-٢١].

فالدكتور العظم، ومدرس الأدب العربي الحديث، وشاعرنا الرمز، وسلسلة الأوفياء من ناهجي منهج الإلحاد والفساد: كل أولئك عليهم أن يتأملوا قول اللّه:
{بلْ جاءَهم بالحَق وأكْثَرهم للْحق كارِهونَ . ولَو اتبع الحَق أهواءَهم لَفَسدتِ السماوات والأرض ومن فِيهن بلْ أتيناهم بِذِكْرِهِم فهم عن ذِكْرِهِم معرِضون . أم تسألُهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازِقين . وإنك لَتدعوهم إلى صِراطٍ مستقِيمٍ . وإن الذِين لا يؤمِنونَ بالآخرةِ عن الصراطِ لناكِبون} [المؤمنون : ٧٠-٧٤].

هكذا يضع القرآن العظيم منهج العلاقة بالحياة، وكفى به من حجة، أما تعليلات العقول الضعيفة فقد أصابت قارءها بداء الإحباط والهزيمة، ولقد وقف العديد من طلاب الثانويات والكليات وبعض المثقفين في جنوب الوطن من طابور المسيرة العلمانية الهزيلة على ما كتب الدكتور العظم، فقال أحدهم : لقد كانت بيني وبين الدين شعرة؛ ولكنها انقطعت اليوم.

وانقطع برواج ونشر كتب الإلحاد ومبادئ الشيوعية أرتالٌ من قوافل الأبواق، وهيشات الأسواق، وانسلخ عن الدين عشرات الشباب، وعدد من الآباء والأمهات،

والبـنـين والبنات، والكل على استعداد و يئة تامة لـمرحلة جديدة من مراحل الاغتراب عن الدين والآداب بصورة أكثر جذرية وانزلاقا.

لقد ا ارت قوى الطبقة المثقفة مع نسبتها للإسلام اسماً أمام وكات التحولات من نظريات دارون، وفرضيات لابلاس، ورياضيات نيتشه، ودراسات بافلوف، وفلسفة ماركس، ولينين، وإنجلز، وإباحية فرويد.

وهذا هو قرآن الملحدين وسنة الشيوعيين والعلـمانيين في مسرح الأحداث اليومي، و ذه الصور القاتـمة ينظرون إلى الحياة، وإلى المستقبل، ويغرسون ا وعليها بناء العقول، وتربية الأجيال، وبمقدار ما فعلوا من هذا التهور والاندفاع الفكري فقد عاقوا تـماماً تنفسات الإسلام ومنهج التربية الروحية المُنزل لإصلاح الأنام، ولقد سبقنا الأستاذ عباس محمود العقاد في وصف هذا التدمير العصري والعهر الفكري والسجن القسري فقال : وكما تعوق الماركسية إصلاح الشعوب؛ تتسرب إلى ضمائر الأفراد فتعوق إصلاحهم وتصرفهم؛ حتى من محاولة الإصلاح بالوسيلة التي يتـم ا الإصلاح، وهي وسيلة الندم، ومحاربة النفس، وعرفان الخطأ، والعمل على اجتنابه، والخلاص من جرائره، ومغرياته، ودواعيه[1].

إن الإلحاد والـملحدين رسل التخريب للأديان والإنسان عموماً، ولقد خربوا الإنسانية بالنظريات التعسفية وتطبيقا ا التدميرية.

لقد خربوا الوطن تـمهيداً لخراب كل شيء على أرضيته، فهم في مسير م يؤمنون بأن قائدهم الأعلى ماركس قد قلب الفلسفة رأساً على عقب، فصار من طبعهم قلب الأمور بمجموعها، وهي «البطاقة الآمنة» التي تفتح لهم الأبواب دون منافس.

---

(١) « أفيون الشعوب » لعباس محمود العقاد ص٣١ ، الطبعة الثانية.

إ م يعتقدون أقوى الاعتقاد أن الخراب الفكري والاقتصادي والاجتـماعي الذي حل في المنطقة هو من نتائج التنفيذ لفكر الإسلام، وعقائده، ولذلك فإ م يرون أن صكوك الدخول إلى عالـم الحضارة لا تتوفر إلا بإزهاق الأرواح والأفكار التي تدين بدين الإسلام، حيث تبنى الأمجاد على الجماجم المسحولة، وهم واهمون.. أبداً واهمون.

فشروط الحضارة غير الشروط التي هم عليها يغنون ويعزفون، وما شروطهم سوى قيود توضع على عاتق الفقراء الذين سامتهم الأزمان سجون العابثين، ينتقلون من سجن إلى سجن أكثر بشاعة وظلـمة ونتانة.

إن فقراء الأمة في جنوب الوطن يعيشون ضمن مدينة يتجمع فيها كل لصوص القضايا في تاريخ الماضي والحاضر والـمستقبل، كتب على جدرا ا من الداخل مقولة الزعيم الشيوعي ماركس وهو يخاطب أتباعه : أخربوها، فليس عندكم ما تفقدونه فيها[١].

(١) المصدر السابق ص٣٥.

يا سكارى الغفلة أفيقوا

وقف المحاضر الروسي الدكتور ميخائيل يوسيف يحاضر في أعضاء النقابات المهنية التعليمية عام ١٩٨٠م في المدرسة النقابية بالمعلا - القلوعة، وأخذ يتحدث عن الاشتراكية العالمية، والمستقبل المنتظر للأحزاب التقدمية في العالم، وعرج على الواقع الإسلامي المعاصر، وعلى الشريعة الإسلامية، وقال مردداً بصوته الجهوري الناطق بالعربية الفصحى : لقد كان الدين الإسلامي أكبر مسؤول عن حرب الطوائف في لبنان، وهو المسؤول عن الصراع المذهبي الطائفي في العالم الإسلامي، وهو المسؤول عن التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وهو المسؤول عن الدمار في كل شيء.

وبالطبع لم يعترض عليه أحد خلال إلقاء المحاضرة.

ولكن وبعد أن انفضت المحاضرة دار بينه وبين أحد الطلاب حوار قال له فيه: أشرتم في محاضرتكم إلى المستقبل القريب الذي تكون فيه الاشتراكية هي القوة الفاعلة على الأرض، متى سيكون ذلك ؟ وكيف ؟

فقال : إن الضرورة تحتم على العالمين العربي والإسلامي أن يسلكا على منهاج الاشتراكية العالمية؛ إذا أرادا أن يلحقا بركب التقدم، ولا فائدة من تحليل الأوضاع والعودة إلى الأصول والجذور . فالزمن زمن سباق ولابد أن يناضل العرب والمسلمون من أجل تحقيق هذا، فنحن لا نصدر الثورات، بل ندعمها.

وسأله أحدهم عن حرية الدين في الاتحاد السوفيتي، فقال : هناك في الاتحاد السوفيتي متدينون مسلمون، وغير مسلمين، كلهم يؤدون عباداتهم في حرية تامة، ويرعى ذلك الدستور، ولكن أيديولوجيتنا واضحة، هي الاشتراكية العالمية، وليست الإسلام.

وسئل عن طموح الغد في نفوس الاشتراكيين حول الوطن العربي والإسلامي فقال: أنتـم رسل الاشتراكية العالـمية في بلادكم، ونحن معكم، ويمكن الآن كسب الوقت فهو لصالحنا.

وقال له أحدهم : إن المسلـمين في كل مكان ينظرون إليكم نظرة اشمئزاز لـموقف حزبكم الشيوعي من الأديان خاصة.

فقال: نحن لـم ننتبه لهذا الأمر إلا في الفترة القريبة، ولذلك نحن الآن يوجد لدينا حرية العبادة.اهـ.

ودق جرس الدخول للـمحاضرة التالية.

وفي يوم آخر من هذه الأيام الحمراء وقف مدير الدورة النقابية بعد أن فرغ مؤذن المسجد من أذان المغرب حيث كان المركز النقابي بين مسجدين، فقال : عليكم أن تعلـموا جميعاً أن بيننا حربا أيديولوجية مع هؤلاء - وأشار إلى المساجد - حرب لن تقف إطلاقاً، إما أن نسكتهم، أو أن يسكتونا، وأنتـم - يشير للحاضرين - مكلفون بإسكات هذه الأصوات . واعلـموا أن اختيارنا لهذا الموقع بين المسجدين كان مقصوداً للعمل على إسكا ـما . ثـم ردد: هذا هو الصدق.. هذا هو الصدق.

ولأنه الصدق الذي لا يمكن إخفاؤه، ولا التستر عليه، فهم يعلنونه في محيطهم المناسب، وأما أمام الرأي العام فيلبسون جلود الحرابي، وإلى متى ؟

تعال معي إلى مصادر الثقافة في هذا ا ـتـمع الممسوخ، وما ماد ـا، ومن يكتب فيها ؟

هذه الصحف الرسمية على الساحة تـمجد وتطنب في وصف النظام، وعدالته، والـمجلات الثقافية والأدبية موبوءةٌ، بدءاً بداءِ الإفكِ ما بين التحديث الملحد وقلب موازين الالتزام في الأدب، وانتهاء بـ «نظرية الكاس».. وما أدراك ما «نظرية الكاس»..

وشعر جديد المضمون والشكل، كهذا[1]:

عيدنا الآن .. على مهلِكِ يا محبوبتي..
فأنا أحلـم بك..
نجمةً حمراء في القلبِ وجهها..
آخراً للبعث في دنيا تـموت ..
عابراً يطرق في العتـمة أبواب البيوت..
ويغني..
كيف لا يكسر هذا الكاتب المثقل بالهم..
قيوده..
ويموت..
هادماً أسطورة الموت العقيمة..
رافضاً كل الشعارات القديمة..
شاهراً سكينةَ المسحور في وجه الهزيمة..
عيدنا الآن .. على مهلِكِ يا محبوبتي..
فأنا أحلـم بك..

وقصص قصيرة كـ «يوميات حمار» قال فيها مؤلفها :

---

(١) مقتطف من قصيدة «عن الموت والحب والحرية» شعر محمد الشلطامي ، عن مجلة الحكمة، العدد ٥ .

قامت مشادة بالقرب من حقل البئر بين ممثلي الجمعية وملاك الحمير، ووقفت أنا أتأمل وأستـمع إلى هذا الحوار :

- إنكم ملاك الحمير لا تقيمون وزناً لهذا الحيوان الذي وهب حياته لخدمتكم ليلاً و اراً، فأنتـم لا يهمكم جوعه، وإنما إنتاجه، تطلبون منه أن يقوم بالواجب وتتناسون واجبكم نحوه. إن هذه اللعبة لن تنطلي عليه لأنه أكثر وعياً مما تظنون حتى ينال حقوقه كاملة.

- نحن ملاك الحمير أعرف منكم ا، فأنتـم مجرد مجموعة من الصعاليك همها استغلال الحمير باسم الحمير.

إن هذا الظلـم يجب أن لا يستـمر، ولابد من مقارعتكم اليوم، ما زلت حتى هذه اللحظة أفكر بما يجب عمله، فالكل بدأ يتحسس مكان الضعف في حياة الحمير، ولكن القرار الأخير لابد من أن نحسب له حسابه، وأعتقد أن الصراع الجاري الآن هو في صالحنا نحن الحمير، خاصة وأن العلف أصبح يقدم بسخاء[1].

وعلى صعيد المواقف ضد الدين وشعائره فقد استبدلت الدولة الفتية تصدير رسائلها الرسمية، واجتـماعا ا، وندوا ا، ومحاضرا ا بالشعار : لنناضل من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية ...إلخ مكان اسم اللّه الذي نِدِب الابتداء به في كل أمر ذي بال، ويبدأ الرموز كلـما م باسم الشعب وباسم الثورة، وباسم الجماهير الكادحة . وكان هذا اختيار القراصنة الأبناء، والإسلام قد اختار للـمسلـمين اسم اللّه، واعتبر التارك له على أحد من ثلاثة أوجه : أقطع ، أو أبتر ، أو أجذم، ولكن الحماس المفرط أذاب الإحساس بالنقص، والبتر، والقطع، فارتضوا لأنفسهم مدلولاته..
{نسوا اللّه فأنساهم أَنفُسهم أُولَئِك هم الفَاسِقُون} [الحشر:١٧].

(١) الكاتب علي أحمد القباطي، مجلة الحكمة ، العدد ٥ .

وكتبت إحدى المتطلعات إلى ا د الاشتراكي موضوعاً تحت عنوان « الشرف شمعدان تكسره الحاجة » ، وبررت السقوط في الانحراف والرذيلة تحت ضغط الظروف، وصفق العديد من أولي المهن والامتهان إعجاباً ذا المبدأ الجريء ضد العفة، والحشمة، والأخلاق. وقال ناقد يمتهن(١) النقد الأدبي: هذا هي الواقعية في الأدب، والأدب الماركسي يشير إلى تشكل الأبنية الفوقية في ا تمع استجابة للبنية التحتية، بنية البسطاء، الفقراء، العمال، الكادحين.

وكتب رمز ثقافي مسؤول في إحدى ا لات الثقافية : إن الإسلام دخيل على اليمن، وإن علينا أن نناضل من جديد لإخراج الثقافة اليمنية الأصيلة من مأزق الفكر الإقطاعي، فنحن عريقون في الثقافة الوطنية.

والثقافة الوطنية التي يدندن عليها الرمز هي ثقافة القرامطة الآباء..

وفي كلمة نارية لأحد زعماء الثورة عرج فيها على المنجزات والمكتسبات التي تحققت بالحديد والنار تحت الراية الحمراء، أشار فيها إلى المتمسكين بالدين، والمتعلقين بأهدابه، وعدم الجدوى من مواقفهم في التغيير والتجذير؛ قال - بما معناه-: إن الثورة ومكاسبها لم تتحقق بـ {قل هو اللّه أحد} وكذا، وكذا، بل تحققت بالقوة والثورة والرصاص، ثم انفعل انفعالاً شديداً وهو يستعجل العبارة: نحن الجهنميون في الدنيا والآخرة(٢).. وكأنه قد عرف لسان حال الناس وهم يقولون قوله تعالى: {قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار} [إبراهيم:٣٠]، فأراد أن يقول : إذا كان مصيرنا إلى النار فسنشبها ناراً تحرق كل ما نراه ضدنا في الحياة.

---

(١) يمتهن من المهنة، أي: يعمل ناقداً أدبياً .

(٢) من خطاب لأحد المسؤولين ألقاه في مناسبة وطنية بتريم - حضرموت .

وكأن هؤلاء الناريين لا يدركون مجريات القضاء والقدر في صنع الملك الجبار، حيث جعلهم مظهراً من مظاهر النارية المعبر عنها في الأحاديث الشريفة : « تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر » ، وفي حديث مسلـم : « وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » ، وفي رواية : « تطرد الناس إلى حشرهم » . قال الشيخ العلامة أبو العباس الزبيدي في «فتح المبدي شرح التجريد»: المراد بالنار هنا نار الدنيا، وهي التي تخرج من عدن.

والـمتأمل في سياق الحديث يرى أن العلـماء قد جرى م التأويل لـمفهوم الحديث كل مجرى حول مفهوم النار التي تخرج من عدن ترحل الناس وتطردهم، ولا يستبعد أن يأتي في معاني النار هذه الرؤية النارية الحمراء التي رحلت من عدن عبر سنوات أرتالاً من البشر إلى محشرهم، والـمحشر كما عبر عنه العلـماء «مجمع الناس»، وهو أحد معانيه، والناس من هذه النار قد اجتـمعوا في المهاجر وحشروا فيها حشراً، ومن معاني المحشر الآخرة، وقد التهمت فتن التحولات منذ فجر المرحلة مئات الناس إلى العالـم الآخر، واللّه أعلـم بالصواب.

إن الأدب الناري قد أحرق التربة التي تخصب فيها العقول، وتنبت فيها الفسائل، و ذا نطق الشعار عشية اختتام المؤتـمر للأدب والتراث الشعبي في ما يسمى بالـمحافظة الرابعة آنذاك:

يا مؤتـمر جذر قراراتك واسحق الأفكار الرجعية
واسحق علاقات الإقطاع والعادات الكهنوتية
الثورة نار مشتعلة لن يطفئ فيها البركان
ثورة ثورة لن تتوقف من أجل تحرير الإنسان

يا كادح ناضل وانحرر واسحق رؤوس كل الطغيان

في اليمن أو في الجزيرة في الخليج وفي عمان[1]

علماء المرحلة بين المداهنة والمراهنة

كتب الدكتور الأمريكي نورمان سيجار[2] في تقرير رفعه بعد زيارته لعدن تحت عنوان «رجال الدين الرسميون» :

إن التطبيق الناجح للفلسفة الدينية التحررية يحتاج إلى رجال دين يحملون رؤية تختلف عن رؤية نظرائهم التقليديين، فرجل الدين المثالي في نظر المدير العام للشؤون الدينية في وزارة العدل والأوقاف [هو الذي يظهر سلوكاً وطنياً نبيلاً ويدعم قوانين الثورة، كما يتميز بالمعرفة والاستقامة] ، مع تقديم رجال الدين في طشقند وبخارى في الاتحاد السوفييتي باعتبارهم النموذج المثالي[3]. إن رجال الدين الذين تريدهم الحكومة هم أولئك الذين أعطَوا تأكيداً بأنهم سوف يترجِمونَ جميع قَراراتِ الدولَةِ في الحياة اليومية. اهـ .

وتأكيدا لما عليه الحال في عدن إليك هذا المثال:

---

(١) « قرارات المؤتمر الأول » ص١٣٥ .

(٢) د. نورمان سيجار : دكتور يعمل في دائرة الجيش الأمريكي، زار عدن ، ثم قّدم في مؤتمر الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط المنعقدة في الثاني عشر من يوليو ١٩٨٨م في مدينة ليدن بريطانيا هذه الدراسة، وكانت بعنوان: « الإسلام والوضع في اليمن الجنوبي.. التعايش الصعب » . وقال عن هذه الدراسة : الآراء التي عبر عنها في هذه الدراسة هي آراء الكاتب ولا تعكس السياسة أو الموقف الرسمي لحكومة الولايات المتحدة !

(٣) نقلت الكلمة عن المدير العام في مجلة ١٤ أكتوبر عدد ٣ أغسطس ١٩٨٦ م.

كان هناك في عدنٍ اجتماع تاريخي لعلماءِ الدين مع أعلى رمزٍ في سلطة الحزب والدولة، حشِد فيه من أئمة المساجد ومنسوبي وزارة الأوقاف عدد غير قليل.

وكان الهدف من هذا الحشد الكبير الإجابة الإعلامية على ما تناقلته وكالات الأنباء ورددته بعض الصحف والإذاعات الخارجية من أن العلماء في جنوب الوطن يمرون بإرهاص نفسي وتعذيب جسدي وأوامر صارمة للدخول إلى معسكرات التجنيد والدورات الحزبية السياسية.

وفي ذلك اللقاء الكبير الذي نقلته أجهزة الإعلام أكد زعيم الوطن من خلال صورة الاجتماع أن للعلماء كامل الحقوق في التعبير عن آرائهم، وكل أفكارهم تجاه القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأن حرية العبادة والرأي مكفولة للجميع وبذلك نص الدستور. وقال الزعيم الرمز عن دولته وحزبه ونظامه وبكل اعتزاز : إننا نحن أقرب إلى الإسلام . مشيراً إلى بعد الآخرين من الدول المجاورة عن الإسلام الحق، والإسلام الحق كما يتحدث عنه الزعيم هو المنهج الاشتراكي، والمثل الاشتراكية من وجهة النظر هذه جاهزة.

فأبو ذر الغفاري داعي الاشتراكية، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي الداعية اليمني للعدالة المادية في الإسلام، والقرامطة المسلمون رسل الاشتراكية، وأسس دعوة القرامطة الأبناء. وكان لابد للعلماء من كلمة، وإبداء رأي، ونقلت أجهزة الإعلام مهزلة الأقاويل وسياسة التضليل.

قام أفراد من ممثلي العلماء يتحدثون عن سلامة النظام وعدالته وموقفه من الرجعية، وأشاد بمواقف الزعيم، وبرأه من تهمة الإلحاد، والشيوعية، وأعلن بكل ثقة قوة ارتباطه ودفاعه عن الإسلام.

بل ناشده أحدهم بالإكثار من البعثات الدينية إلى البلدان الصديقة لطلب العلوم الشرعية، مشيراً بذلك إلى ما يعيشونه من الجهل المسيس، والتطبيع الغريب، وأوعدهم الزعيم بذلك.

وقام أحد خطباء المرحلة في جامع الهاشمي بالشيخ عثـمان يشيد ذا الاجتـماع الإسلامي العظيم، ويشير إلى دور الحزب والدولة في نشر العدالة والسلام، وأ ا بلاد تكافح من أجل الخير والسلام ضد أعداء اللّه والدين.

ولقد راودني حلـم جامح أن أزور هذا الخطيب، وأتحدث معه فيما يشغل بالي بشأن العلاقة التي يدافع عنها باسم الإسلام في هياكل النظام الأحمر، لكن لـم أتـمكن من تحقيق رغبتي حتى توفاه اللّه رحمه اللّه.

وبحثت في سراديب الواقع، وظواهر الأمكنة والـمواقع، لعلي أتعرف على السر المنعدم الذي سماه الزعيم « أقرب إلى الإسلام » ، فوجدت أن الإسلام يبكي حظه في كل موقع، وإدارة، ومدرسة، ومسجد، ويندب فجيعته في عقيدة الدين العليا المهزوزة في كل دائرة وموقع ، اللّهم إلا ما بقي من سلوك الأفراد، وبعض العلـماء الخارجين عن دائرة الأوقاف والسلطة، وبعض الشباب المتحمسين للدين، وهم لا يعيشون في الوطن، غرباء في الواقع، غرباء في العلاقات.

و يأ لي يوماً زيارة محطة الإرسال التليفزيوني بعدن، ودلفت المبنى أتأمل كل شيء، وأقرأ كل شيء، فلـم أجد منذ نزولي على الباب وخروجي منه ما يدل على الإسلام كعقيدة ومنهج، ما عدا افتتاح البرامج بالقرآن واختتامها بمثله، وتحدثت مع بعض الموظفين عن بعض قواعد الإسلام فلـم أجد من يلتفت إلى هذا الحديث بإعجاب، وسمعت من مدير الإذاعة وعدد من رجال العمل البارزين حديثاً واسعاً طويلاً عن الثقافة الماركسية، وآثارها في المرحلة، وتذكرت حينها ما كان يطلقه القرامطة على

العامة في مجتـمعها، إذ كانوا يقسمون الناس إلى أقسام، ومن أحط الأقسام عندهم « طبقة العميان والحمير » ، وهم عوام الأمة الذين لا يعلـمون خفايا الأمور، ولا يتتبعون ما تصنعه هذه الأرتال الفوقية من استهتار بالقيم والـمبادئ والأخلاق.

وأحسست في أعماقي بما يضمره هذا الزعيم الرمز من سخرية و كم على الدين ورجاله، وما يظهره لهم من الحماس الفكري لقضايا المساواة والعدل والحرية من منظور الإسلام كذباً وزوراً و تانا.

إن الكلام عن الإسلام في ظل محاربة رجاله وأبنائه وممثليه أمر غريب، وهذا نص من نصوص أحد المؤتـمرات للأدب والتراث الشعبي يبرز موقف المرحلة والقيادة التي تعبر عن نفسها أ ا « أقرب إلى الإسلام » ، كتب في التقرير تحت عنوان : الإقطاع العشائري، وأورد فيه السلاطين وعقلاء القبائل والـمشايخ، ثـم ذكر العلـماء فقال : ومن الإقطاع الكهنوتي: السادة والفقهاء، ويعتـمد هذا القسم على الدجل والشعوذة وتسخير الدين لخدمة أغراضهم وقيمهم الأدبية، مثل آل الحداد، وآل المحضار، وآل الحامد، وآل درعان، وآل بانافع، والسليماني، وآل الشقاع، ومن يسمو م بأولياء اللّه الصالحين.

إن القرب من الإسلام لا يتأتى معه شعار « الأرض لـمن يفلحها » ، وإنما أن يتأتى الشعار مع التحليلات النظرية الواردة من المنظومة الاشتراكية كما هو في قرارات المؤتـمر المشار إليه سلفاً[1] وهو يقول : بعد الانتفاضات الفلاحية في الريف لـم يعد بإمكان المتضررين ولا بإمكان القوى الإمبريالية تضليل الجماهير فكرياً، لـم يعد بإمكا م القول بأن الفكر الجديد ضد الدين مثلاً، ولـم يعد بإمكا م محاربة الفكر الجديد باسم محاربة « الإلحاد » المزعوم.. لـماذا ؟ لأن الجماهير الكادحة

(١) ص١٠٩ .

أصبحت في حالة معرفة كل شيء، وتعرية كل شيء، وبالتالي في حالة مواجهة لكل شيء عسكرياً وأيديولوجياً وسياسياً.

وقال شاعر آخر :

الفلاح دي حررها	وأعطاها لذاك المعدم
بازرعها وباناضل فيها	وأفديها بروحي والدم

إن هذا الشعر الجديد الذي ينطلق من نسف العلاقات الاستغلالية والرجعية ينسف أيضاً كل معقولية أو ثبات لهيمنة الإقطاع والاستعمار والبرجوازية.

إننا أمام شعر ثوري جديد ومنطلقات جديدة عبر الجبهة الأدبية، إذ لم تعد المعقوليةُ والثبات لا للعلاقات الرجعية ولا للفكر والتراث الاستعماري.. إننا أمام أدب يلتحم يومياً بالجماهير الكادحة وبنضالها القريبة والبعيدة ضد كل الأعداء الطبقيين في الداخل والخارج [1] .

إحنا عملنا وناضلنا	وعلى الأرض استولينا
والاحتكار أممنا	والعمال طليعتنا
والفلاح يدعمنا	والصياد يشاركنا
والجندي بجانبنا	والبدو الرحل معنا
والتنظيم قائدنا	والمسلمين معانا

عاش عاش تحالفنا

هذه الشعارات والقرارات أين مكانها من الإسلام الذي عبر الرمز في مجلس العلماء أنه أقرب إليه؟

(١) « قرارات المؤتمر الأول » ص١٣٣ .

إن الانتفاضة الفلاحية اتسمت بالعنف، وإسالة الدماء، و ب الأموال، أين سيكون موقعها من الإسلام الداعي إلى اللطف والسلام والتكافل الاجتـماعي ومعرفة الحقوق واحترام الملكية مع العدل فيها وإقامة الحدود الشرعية . لقد كانت الشعارات المطبقة في المسيرة المقننة تقول :

الانتفاضة عنف منظم وصراع طبقي أقوى صراع

لا سلبية لا تراجع لا تذبذب لا خداع

هذه هي دولة العنف المسلح، وليس للإسلام في شعارا ا وقرارا ا المحلية والدولية مكان، ففي المهرجان العاشر العالـمي للشباب كان شعار الشباب :

يا شباب العالـم ثوره ويا عمال يا فلاحين

واهزموا بالعنف الثوري كل الامبرياليين

شيدوا الاشتراكية.. دمروا الإمبريالية

يا مسيرتنا الثورية يا بركان الغضب العاصف

جذري في الإجراءات.. لا تراجع في المواقف[(١)]

الإسلام في مواجهة التحولات يقبل التحديات

كتب الدكتور نورمان سيجار: ستعمد هذه الدراسة إلى فحص الوضع الحالي للإسلام والسياسة الدينية للحكومة ودلالا ا الضمنية على النظام السياسي للبلاد وعلى ا تـمع.

---

(١) «قرارات المؤتـمر الأول» ص١٣٤ .

إن من ضمن الأهداف الرئيسة المعلنة للنظام هو تحقيق التحول في المجتمع إلى مجتمع جديد عقلاني اشتراكي، وخلق الإنسان اليمني من جديد، ولقد ظلت أصعب الورطات التي يجابهها النظام في محاولته تنفيذ مخططاته في كيفية التعامل مع الإسلام.

ولقد تميزت السنوات الأولى القليلة بعد الاستقلال في ١٩٦٧ بحملة عنيفة قامت ضد المؤسسة الدينية، رغم أن حِدتها قد تتفاوت من منطقة إلى أخرى، وقد كانت أحقد مظاهر هذه الحملة في حضرموت، حيث كان إضمار المشاعر المعادية للحالة الراهنة عاملاً قائماً لفترة طويلة، وحيث رجال الدين وآخرون منسوبون لمكانة دينية، كانوا على ارتباط وثيق بالنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي آنذاك [١].

واقتراناً مع هذه الهجمات فقد قام النظام في عام ١٩٧٠ م بتأميم كل الأوقاف التي ساهمت في استقلالية علماء الدين وتأثيرهم على المجتمع، ومنذ ذلك التاريخ قامت الدولة بدفع رواتب رجال الدين، وعملت على توجيه كل المبالغ المخصصة للمساجد من مصادر خارجية عبر وزارة حكومية.

وأعتقد أن التأثير المتبادل بين الدولة والمجتمع نتج عنه ظهور تيارين إسلاميين: الرسمي، والشعبي[٢].

---

(١) أشارت الدراسة إلى المرجع « السياسة الطبقية.. دراسة التغيير السياسي في مدينة جنوبية عربية » أكسفورد، مطبعة جامعة أوكسفورد ١٩٧٢م .

(٢) ليس هناك ظهور لتيارين، وإنما كان التيار الشعبي عميق الجذور منذ فجر الإسلام، وأما التيار الرسمي فيطغى حيناً بحسب قوة النظام، ويضعف حيناً آخر، والتيارات الإسلامية الرسمية هي المسؤولة عن الدمار الاجتماعي والسياسي والديني والثقافي والاقتصادي وهلم جرا.

وبذلك تكون التيارات الشعبية عبر مسيرة التاريخ حاملةً لواء الإسلام حسب إمكاناتها وقدراتها، وبين الحين والحين تتعرض هذه التيارات غير الحزبية للضغط والأذى والإيقاف والتهم المدمرة مرحلة بعد مرحلة، وكان من أشدها خطراً مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

التيار الإسلامي الرسمي.. إعادة النظر في السياسة الدينية[(١)]

إن الهجوم الذي تصدرته الدولة على الإسلام نشأ عنه استياء كبير في الداخل شمل المقاومة المسلحة، والهجرة، كذلك أثار عداوة البلدان المسلـمة الأخرى، ودمغ نظام عدن بأنه نظام ملحد، وهو انطباع لاحق النظام منذ ذلك الوقت.

ويظهر أن الكتلة الشرقية اقترحت على نظام عدن استراتيجيةً للتعامل مع الرأي العام المحلي والأجنبي، بينما يتابع النظام في نفس الوقت ما يشعر أنه تعزيز اندماجي ضروري للتحكم في مجتـمع ما زال ضارباً جذوره بعمق الإسلام على أساس ما أورده لأحد الشخصيات القيادية المتصدرة ، والـمعروفة بصلا ا الأيديولوجية السياسية حتى وفاته عام ١٩٨٦م ، فإن السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الوحدوي الحاكم في المانيا الشرقية قد نقل عنه أنه قال لليمنيين الجنوبيين: إن الدين يستخدم كسلاح ضدكم، فلـماذا لا تستخدمون نفس السلاح ضد أعدائكم ؟ لـماذا تسلـمون زمام المبادرة للرجعيين والانتهازيين ؟ لـماذا لا يكون زمام المبادرة بيد التقدميين ؟ لـماذا لا تقولون : ضد الرأسمالية المستغلة ؟ وتقولون في نفس الوقت: كان سيدنا محمد ضد الرأسمالية المستغلة؟ لن يتـمكن فقيه أو قاض على الإطلاق في إيجاد آية قرآنية أو حديث يثبت أن محمداً كان مع الرأسمالية المستغلة لأنه كان فعلاً ضد الاستغلال.

ويمكن للـمرء أن يفترض أن السوفييت ظلوا أيضاً مشتركين في توجيه إدارة عدن للـمشكلة الدينية إذا علـمنا دورهم الاستشاري المتغلغل في المنطقة وخبر م مع الإسلام في آسيا الوسطى.

مع بروز سياسة التجذير والتغيير.

(١) « الإسلام والوضع في اليمن الجنوبي.. التعايش الصعب » لنورمان سيجار ص ٣ .

ولأغراض عملية يبدو أن سياسة معقدة ومرنة ذات وجهين قد تبلورت في ذلك الوقت في « دولة عدن » ، وفي حين احتفظت الدولة بالسيطرة المباشرة على البـنـية الدينية والـمساجد المنشأة في الفترة الأولى من الاستقلال؛ فإن الدولة تخلت تدريجياً عن أعمال العنف الواضحة، وعن الانتقاد المباشر للإسلام على الرغم من أنه يبدو في حضرموت - على الأقل - أن الإيذاء الجسدي لرجال الدين استـمر حتى عام ١٩٧٣م [١] على الأقل.

الفلسفة الدينية التحررية

لقد عمل النظام بشكل متزايد على تفادي الا امات بأنه ضد الإسلام باستخدام الرموز الدينية لـمصلحته ، مثال على ذلك : ظهور قادة الحكومة في الصلوات الجامعة في الأيام المقدسة، وقيام الوسائط الإعلامية بنشر تقارير عن اجتـماعا م مع العلـماء، والتي تعطي أيضاً بأن العلـماء متقبلون للنظام ، والجدير بالاهتـمام هو التأكيد منذ بداية السبعينات على « الفلسفة الدينية التحررية » ، أي: على تفسير الإسلام من خلال منظور أكثر توافقاً مع أيديولوجية النظام، ومع ابتكار ما قد يسميه المرء «إسلاماً» رسمياً مقبولاً.

وكجزء من استراتيجية النظام لإبطال المعارضة الدينية فإنه يسعى لإقناع السكان بأنه لا يوجد في الأساس تناقض بين الاشتراكية والإسلام؛ شرط أن يفَسر الآخر تفسيراً مناسباً، وينظر إلى الإسلام بشكل كامل على أنه ظاهرة اجتـماعية اقتصادية تـم فقط ـذا العالـم، بينما يتـم تجاهل الجانب الروحي للإسلام، أو على الأقل يترك لشؤون العالـم الآخر، وتكون قوة الدفع لهذه الفلسفة الدينية التحررية متـمثلة

(١) المصدر السابق ص٤ .

في تأكيد معارضة الإسلام الاستغلالية والإمبريالية، وطبقاً لـمقولة الأمين المساعد للحزب حول الإسلام: تستطيع الجماهير أن تختار أي جزء من السنة ترى أنها مناسبة للتطبيق؛ لحديث : « أنتـم أعلـم بأمور دنياكم » موحيا بسيادة العقل البشري على التوجه المقدس[1]. ويفسر الإسلام على أنه ظاهرة تاريخية خالصة ، وأصوله وتطوره يمكن تعليلها بالقوى الاقتصادية والاجتـماعية[2] . وجوهره يقال فيه : إنه «الـمساواة وإلغاء الاستغلال الطبقي» ، بينما لب معنى رسالته يمكن تلخيصها على أنها تحقيق لحياة نبيلة وعادلة ، وللديمقراطية والعدالة الاجتـماعية وإقامة المجتـمع الخالي من التناقضات الاجتـماعية والعلاقات الاستغلالية[3] .

ولعل اليمن الديمقراطية كانت أكثر انسجاما مع نفسها؛ إذ رفضت المشاركة في الاجتـماع الديني الإقليمي، فهي الدولة العربية الوحيدة التي دعمت الغزو السوفييتي في عام ١٩٧٩ م ، ومنذ ذلك الوقت التزمت إدانة المجاهدين ومؤازرة نظام كابول.

وفي نفس الوقت ظلت الدولة حريصة على ضمان استـمرار سيطرتها على رجال الدين ومراقبة التعبير الديني ، كما أن الدولة استـمرت في تقويض دور رجال الدين في المجتـمع وتقويض تدين الشعب، ولـم تكتف الدولة باستـمرار احتفاظها بالسيطرة على الأوقاف، بل إنها سعت أيضا لوضع الخطب التي تلقى في المساجد، كما عملت أيضا على تقليص دور الدين في حياة الناس اليومية.

---

(١) المصدر السابق ، ص٥ ، وحاشية ص٣٤.

(٢) جاء في حاشية التقرير: طبقا لـ« الثوري » ٢٤ يناير ١٩٨٧ م : إن اليمنيين أسلـموا أصلا لأنهم رأوا فيه فرصة لاستخدامه في طرد الفرس الذين كانوا محتلين البلاد ، وبطريقة مماثلة ينظر إلى حروب الردة على أنها ثورة يمنية وطنية ضد استغلال الأرستقراطية القرشية في مكة، وينظر إلى قادة الثورة ضد الإسلام كأبطال وطنيين.

(٣) حذفت فقرات مستغنى عنها.

مثلا استبدلت الشريعة بقانون وضعي « مدني » في أغلب ا الات، بما في ذلك معظم أوجه الأحوال الشخصية عبر إصدار قانون الأسرة الوظيفي عام ١٩٧٤ م، وكثيرا ما تكون هذه القوانين مخالفة للشريعة الإسلامية ، وهكذا الحال بالنسبة للتعليم الحكومي ووسائل الإعلام والنشر والفنون ، فقد تـم إرساؤها على أسس وضعية، والوصول إليها بواسطة رجال الدين يخضع لتحكم صارم، والجدير بالذكر أن النظام لـم يتدخل مباشرة في نظام الميراث المبـنـي على أساس ديني رغم كونه -أي الميراث- مرتكزا على للـمحافظة على الممتلكات والأنماط الاجتـماعية. ومن المحتـمل أن يكون ذلك بسبب رد الفعل الشعبي المتوقع ضد النظام ، والذي قد ينتج عن القيام بمثل هذه الخطوة. اهـ [(١)].

بينما الدولة تتخلى عن أسلوب ا ا ة الصريحة ، فهي مع ذلك تستـمر في النيل من الإسلام بطريقة غير مباشرة ، فمثلا في خطاب موجه لرئيس تحرير صحيفة ١٤ أكتوبر اشتكى المراسل من نظام البث الذي تديره الدولة من أنه يبث برامج طباخة أثناء النهار في رمضان ، مما يجعل الصيام صعبا جدا . وفي الحقيقة أن السلبيات المصاحبة لرمضان كالغياب وإنتاجية عمل منخفضة وتزايد استهلاك الغذاء يتـم إبرازها وتصويرها في وسائل الإعلام بأسلوب نقدي لاذع. وعموما فإن وسائل الإعلام تتجاهل الإسلام في برامجها.

ومما يلفت النظر أن صحافة جنوب الوطن هي الفريدة في العالـم العربي التي تمتنع عن نشر مواقيت الصلاة والصيام، وكذا الحال بالنسبة لـموقف قادة الحكومة من الإسلام ، فمن النادر جدا أن يفصحوا عن أي إشارة للإسلام بإقامة الدليل على شرعية التشريع والنشاط السياسي أو السياسة الخارجية.

---

(١) المصدر السابق ص٨ .

حتى التهاني الواردة في الصحافة بالـمنسبات الدينية تكون عادة روتينية ومقتضبة لا تتجاوز جملتين أو ثلاثة، وفي بعض الأوقات ينكشف المظهر الديني بوضوح حيث يستخدم الإسلام كمنطلق لتحقيق أهداف سياسية أخرى فقط، ويظهر ذلك في مقالة افتتاحية نشرت أخيراً بمناسبة عيد الأضحى حيث اعتبرت هذا العيد مجرد « مناسبة لتبادل الزيارات، والتهاني، وفرصة جديدة تنتهز لتقوية الروابط بين الرفاق » .

وفي الحقيقة فإنه طبقاً لـما ورد في نفس المقالة : «هذا العيد يتجاوز العيد الديني بغرض الاحتفالات الدينية فقط، بل يتـم تحويله إلى إظهار التضامن المحلي والعربي والدولي»اهـ [1] .

الإسلام الشعبي[2]

وعلى النقيض من ذلك يمكن تعريف الإسلام الشعبي بتلك المظاهر الإسلامية التي تشجعها الدولة ولا تسيطر عليها، وضمن هذا العنوان يوجد - كما أعتقد - فرعان، في جانب هناك النظام التقليدي المرن المنطوي على المعتقدات والشعائر، والعلاقات الثابتة من الماضي، والتي يمثل استـمرار بقائها حالةً لـم تستطع الدولة إ اءها، بالإضافة إلى ذلك توجد ظاهرة أكثر حداثة تتـمثل في ضة إسلامية يطلق الغربيون عليها إلى حد ما مصطلح « الأصولية » في أماكن أخرى في الشرق الأوسط.

---

(١) جريدة ١٤ أكتوبر ، ١٥ أغسطس ١٩٨٦ م .

(٢) الإسلام هو الإسلام، ولا يوجد هناك تفريع في مبادئه، وإنما كاتب التقرير يضع وجهة نظره من منظور غير إسلامي، وإذا ما نحن أردنا أن نقرب المفهوم الذي يريد أن يصيغه، فهو يتحدث عن نماذج المراحل المتقلبة التي أفرزت أنماطاً من الرؤى الإسلامية المختلفة من حيثيات المدارس، لا من حيث الثوابت.

الإسلام التقليدي

على الرغم من جهود الدولة لغرس نظام المعتقد الماركسي في الأذهان؛ فإنه يظهر على غالبية سكان اليمن الديمقراطية أ م لا يزالون ملتحمين التحاماً عميقاً بالإسلام في صناعته التقليدية.

ولتعليل استـمرار الإسلام التقليدي يمكن للـمرء أن يفترض قبل كل شيء أن معظم أبناء الجنوب اليمني يرون الإسلام كنظام مقدس للواقع أو للحق فيما عدا ذلك فإن صلة الإسلام المستـمرة بحياة الناس تسهم في ديموميته، ولا تكاد توجد معلومات متوفرة عن ماهية التسلسل الديني التقليدي اليوم (١) ، ولا عن كيف استفادت النخبة المحلية الجديدة من الإسلام في تدعيم مركزها (٢).

وتكمن الأهمية السياسية للإسلام التقليدي في دوره كعائق على المستوى المحلي للتغيرات في ا تـمع والسيطرة عليه، التي تسعى الدولة إلى تحقيقها (٣).

مرحلة التحول ودور الأصابع في يئة الأدوار الجديدة

كان اطّلاعي على تقرير الدكتور الأمريكي المشار إليه سلفاً بعد تأليف الكتاب، وقبل أن أفرغ من تبييضه، ووجدت في ثنايا التقرير ما لا زال مهما في نشره وإثبات

---

(١) التسلسل الديني معلوماته متوفرة لدى أهله، وأما الكافر فلن يعرف عن التسلسل والأسانيد شيئاً، وقد حاول الاستعمار ومن جاء بعده مسخ المدرسة التقليدية، كما سماها المؤلف، ولكن اللّه تعالى قد ضمن حفظ دينه، والـمتـمسكين بأهدابه، وإن مارس العدو أنواع الأذى والضغط عليهم {يريدونَ ليطْفِؤوا نور اللّهِ بأفواههم ويأبى اللّه إلاّ أنْ يتـم نوره} [الصف:٨].

(٢) المصدر السابق ص١٠ .

(٣) المصدر السابق ص١١.

خبره كدليل واضح على اعتناء العقول الغربية بالأمور الإسلامية ومدى موقعها في التحولات التي تنسجها أصابعهم الخفية.

والغربيون لا يختلفون عن أشباههم من الشرقيين في حبك المؤامرات ضد الإسلام، والاستفادة من الا يارات والتشققات في الجسد الإسلامي الواحد.

ومعركتنا المصيرية مع هذه العقول لا تقف عند مسألة اليمن ومجريات أحداثه فحسب ، وإنما هذه واحدة من فقرات المسلسل الطويل الذي تتبادل القوى العالـمية أدوار تطبيقه، وتحويل العالـم الإسلامي فيه إلى حظيرة الخدمات العالـمية.

إن العلة تكمن في قضيتين أساسيتين هما : الإسلام والكفر ، فالـمسلـمون عبر تاريخ التحولات تأخروا كثيراً عن شرف المبدأ، وتنازلوا عن حقوقهم المكفولة في الإسلام.

وأما الكفار فقد استفادوا كثيراً من ضعف المسلـمين، واستثـمروا هذا الضعف بروية ودراسة ، وتغلغلوا كثيراً في هدم الشخصية المسلـمة، وسحب بساط التأثير من تحتها.

ومنذ مرحلة الغثائية في العالـمين الإسلامي والعربي بدءاً بمرحلةِ فقدان القرار الإسلامي العالـمي واحتواء العقل الغربي للـمسلـمين.. وإغداق الوعود الكاذبة عليهم؛ حتى انتشار النظام الشيوعي وهم في ا يار منظم وسقوط مقنن، وما النظام الشيوعي ومسرحياته المتعاقبة إلا مثالٌ من أمثلة اللعبة المعدة بعناية.

فالنظام الاشتراكي جاء وليد الحرب العالـمية الأولى، واستطاع هذا النظام أن يفرض نفسه على الشخصية المسلـمة في المقاطعات الإسلامية، ويسحق أمانيها وأحلامها بالسلاح والنار.

والنظام الأوروبي الجديد جاء أيضاً وليد الحرب العالـمية الأولى والثانية، ومن تحت مؤامراته ومؤتـمراته تقسمت أرضية الأمة العربية والإسلامية، وتوزعت بأيدي الغزاة المدججين.

و اتين القوتين العالـميتين برز الدور الجديد للصهيونية في قلب الأمة المغلوبة على أمرها، و اتين القوتين العالـميتين نشأت دول العالـم العربي المعاصر : ممالك، وسلطنات، وجمهوريات، وإمارات.. وهلـم جراً.

و اتين القوتين العالـميتين بت خيرات العالـم الإسلامي والعربي، و اتين القوتين العالـميتين برزت الدعوات للقومية العربية ضد الخلافة الإسلامية، وتقزم الزعماء والـملوك والحكام من وحدة القرار العالـمية إلى لعبة الحظ العربية المخذولة.

ومنذ ذلك الحين، والـمنطقة العربية والإسلامية مشتل التجارب، ومائدة الأَكَلَة الشرهين، الذين وصفهم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم في الحديث: « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها » . قالوا : أمن قلة نحن يا رسول اللّه ؟ قال : لا، أنتـم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يلقى عليكم الوهن. قالوا : وما الوهن يا رسول اللّه ؟ قال : « حب الدنيا، وكراهية الموت».

وكانت مجريات الأحداث في جنوب الوطن صورة من صور التحالف الخفي للقوى العالـمية المؤثرة في القرارات.

ومهما أبرز الغربيون هدوءهم المصطنع في معالجة الأمور، ودمغ إدانة الكتلة الشرقية الشيوعية، فإن الحقيقة ذا ا تشير إلى تقاسم الكتلتين أدوار المسؤولية، وثـمرات ا يار ا تـمعات المغلوبة.

ومن خلال ملاحقة تقارير الكتلتين، وثـمرات سياسا م في الوطن المتهالك نتعرف بيقين على مدى الاستثـمار البشع، والاستثـمار السلبي المسؤول عن هدم كل معاني الحياة في ظواهر العطاء في الوطن.

وهاك من هذا النسيج المسيس ما كتبه الدكتور الأمريكي عن جنوب الوطن آنذاك بعد أن فرغ العالـم الشرقي من الدور المناط به في المنطقة، أو كاد أن يفرغ، وبدأ الدور الغربي ومن في فلكه من الأنظمة المحلية والعالـمية يوزع نسيم المغازلة المنتظرة منذ زمن طويل، كتب المبعوث العسكري يقول :

إيقاظ الشعور الديني

هناك اتجاه ثان له صلة يتـمثل في ال عة الموقظة للشعور الديني منذ بداية الثـمانينات فقط، ويظهر أ ا مشا ة للظاهرة المعاصرة الموجودة في أماكن أخرى من المنطقة، ويتـميز أتباعها بأ م أكثر وضوحاً وعزماً ووعياً سياسياً من المسلـمين التقليديين !

رغم أن ما يتعلق باليمن الديمقراطية من قضايا أساسية مثل أهداف هذه الحركة -أي الاتجاه الثاني- ودرجة طبيعة تنظيمها - إن وجد - تبقى غير واضحة إلا أن مظاهرها جلية، كالحضور المتزايد في المساجد، ودراسة القرآن، وظهور المساجد الخاصة، وانتشار الرموز الدينية كاللحية، كما انتشر أيضاً الزي الإسلامي الحديث للنساء، والثوب الطويل وتغطية الشعر والذراعين، مع بقاء الوجه مكشوفاً أو مغطى بخمار، كما تؤكد ذلك الصور المنشورة في صحافة اليمن الديمقراطية لكلا الطالبات والعاملات في المصانع، هذه الظاهرة تختلف تـماماً عن الثوب الأسود، والشيذر التقليدي لنساء جنوب الوطن، وفي الحقيقة وجدت إدارة جامعة عدن نفسها مرغمة على إصدار حظر رسمي للزي الإسلامي الجديد لطالبا ا في عام ١٩٨٥م.

ويظهر أن الزي الإسلامي الجديد قد برز مؤخراً، ولكنه انتشر بسرعة، ولـم تطرح الحجة الرسمية بلغة دينية، بل تـمت مهاجمة الزي الإسلامي بشكل مباشر لأنه -حسب زعمهم- لا يطابق الذوق السليم، ولا تستطيع أن تـميز الطالبة من غير الطالب، وفي الوقت الذي قيل فيه: إن هذا الزي الذي يمثل مظهراً خطيراً إلا أنه تـم التقليل من شأنه باعتباره « موضة أخرى » ، كما أن اختيار الطالبات للخمار الأبيض كان بالتحديد أمراً صعب الاحتـمال بالنسبة للسلطة، ومن الآن فصاعداً بات إجبارياً ارتداء الزي الرسمي الجديد لطلاب الجامعة، والـمصمم على نمط عسكري مشابه للزي الرسمي لأشيد.

وتظهر صورة الصحافة للـمتقدمات في أغسطس ١٩٨٦م إلى كلية التكنولوجيا في عدن مثلاً أن أغلب النساء كن لابسات الزي الإسلامي الجديد ، مما يدل على شواهد أخرى على أن هذا الزي منتشر أيضاً في المدارس الثانوية، وقد يكون مقارباً للصحيح أن ننظر إلى هذه اليقظة الدينية في اليمن الديمقراطية كامتداد للإسلام التقليدي تشاطره مجموعة مشتركة من المعتقدات الأساسية والرموز الدينية وليست معارضة له.

على أن ما يظهر أنه يميز هذه اليقظة هو فعالية مذهبية أكبر، ونقد واضح للنظام السياسي الرسمي.

وفي الواقع إن الـ عة المتعلقة بإحياء « أو إيقاظ » الشعور الديني تـمثل معضلة مستـمرة للنظام العدني، أو لأي نظام يسعى لاحتكار السياسة وإعادة بناء الـ تـمع، وبلغة أيديولوجية: هذا الاتجاه الديني يطرح بوضوح نظاماً كاملاً كبديل للـماركسية اللينينية [1]، من هذا المنظور يستطيع الاتجاه المدني إضفاء الشرعية على المعارضة، أو

(١) لاحظ معي هذه النغمة الغريبة.. تـمجيد للتيارات الجديدة، وإغراء ودعاية لها، مع أ ا لا تحمل في مضمو ا غير التحول من حال إلى غيره، ولا تحمل حلاً جذرياً.

حث الأفراد والجماعات على معارضة السياسات الاجتـماعية والاقتصادية والتراثية التي يريد النظام تنفيذها [1].

إلى هنا يظهر أن الحركة غير متبلورة وصغيرة إلا أن عدد المتعاطفين قد يكونون أكثر في طور الاتساع، وليس من الواضح أية مجموعة أو مجموعات نشطة ولا حلقات اتصال -إن وجدت- مع مجموعات في الخارج.

وبلغة سياسية وبواسطة المناشدة عبر القيم المشتركة فإ م يستطيعون الوصول إلى جمهور من المستـمعين يفوق العضوية المحدودة، مثلاً إلصاق مة معاداة الإسلام بإجراءات الدولة يمكن أتباع اليقظة الدينية من وضع هذه الإجراءات موضع الشك حتى في نظر معظم التقليديين.

وهناك في الحقيقة بعض المؤشرات على الأقل دالة على أن الإسلام الشعبي قد بدأ فعلاً يخدم كمركبة للنشاط السياسي، وفي جريدة ١٤ أكتوبر اليومية في عدن ظهرت مقالة تعطي تلـميحاً نادر الحدوث عن هذه الظاهرة الحديثة العهد، وفي الظاهر يطرح التعليل الجدلي في التجمعات الرسمية، والـمدارس، والـمساجد « دور العبادة » أن الإسلام يعارض الأحزاب السياسية، وأن أي واحد ينضم إليها يعتبر خائناً للإسلام، وترى المقالةُ أن ذلك يمثل هجوماً مركزاً بالتحديد على « الأحزاب الطبقية الرائدة»، كالحزب الاشتراكي، وتتهم هؤلاء النقاد بأ م يستخدمون الإسلام ذريعةً لـمهاجمة سياسات الحزب الاشتراكي اليمني الاقتصادية والاجتـماعية، وتلقي اللوم على القوى الامبريالية والرجعية، ومدفوعة بجشع الملكية الخاصة والاستغلال الطبقي.

(١) لا يتجاوز التقرير في فهم الحركة الإسلامية الجديدة غير أ ا جماعة للـمعارضة ضد النظام، وهي إذا نظرنا إلى وظائفها بعد بروزها لا تتعدى ذلك كما وصفها الباحث المطلع على تشكيلات العمل الحركي .

وعلى الرغم من أن المقالة تريد طمأنة قرائها بأن مثل ذلك الهروب إلى الماضي ليس هو الإجابة على تحدي المستقبل، وأن ذلك لا يعدو كونه ضرباً من ضروب اليأس؛ فإن هذه الدعوات وهذا الموقف ليس أقل خطورة من هذا السبب، ويظهر أن النظام يبدي قلقه إزاء أتباع تيار اليقظة الدينية أكثر من قلقه إزاء الجماهير الكثيرة من المسلـمين التقليديين. وإذا كان من غير الممكن تغيير معتقدات التقليديين بين يوم وليلة، فهم على الأقل أكثر سلبية، ولا يمثلون تحدياً سياسياً فعالاً.

من ناحية أخرى يظهر أن النظام قد قام ببعض الاعتقالات لأتباع تيار اليقظة الدينية، فالحظر على الزي الرسمي الجديد المشار إليه أعلاه دل في حد ذاته على القلق السياسي.

وخلافاً للوضع في أغلب أقطار الشرق الأوسط حيث تيار الـ عة إلى إيقاظ الشعور الديني فعالة، ففي اليمن الديمقراطية ليست الولايات المتحدة هي هدف العداء، بل على الأصح في هذه الحالة الاتحاد السوفيتي يمثل البؤرة الرئيسية التي يتـمركز فيها الغضب.

وفي هذه الظروف ليس من المستغرب غياب الولايات المتحدة في القطر، أما السوفيت من جهة أخرى فلديهم وجود بارز جداً، ويمثلون المؤازرة الخارجية الرئيسة لنظام عدن، وهم مصدر الإلهام لكثير من سياساته.

ورغم أن مصالح السوفيت هي المعرضة لهجوم أتباع اليقظة الدينية في الجنوب اليمني كما هو الحاصل في ليبيا، وسوريا، وأفغانستان، إلا أنه ليس هناك ما يدل على ماهية نظر م نحو الغرب على المدى البعيد.

اليقظة.. لـماذا الآن ؟

إن النهوض الإسلامي يجب أن ينظر إليه قبل أي شيء آخر كظاهرة روحية استجابة لتحد صريح وضمني لوحظ أن الحكومة تشجعه ضد المعتقدات التي يؤمن ا الناس إيماناً عميقاً.

ومع ذلك هنالك عدد من العوامل المادية الخارجية والداخلية معاً التي قد تساعد على إيضاح السبب وراء ظهور هذه الظاهرة حينما برزت، والتي ستساعد على معرفة أثرها الكامن على الشعب.

أما بروز هذه اليقظة الدينية في اليمن الديمقراطية في هذه المرحلة المهمة قد يدل على نقاط التشابه مع حركات تنتـمي إلى أصل واحد في المنطقة ، فالزي الإسلامي الجديد المستخدم في اليمن الديمقراطية هو في الحقيقة نفس الزي الملاحظ في الأقطار العربية الأخرى.

إذ إن بروز هذه الظاهرة في اليمن الديمقراطية كان متأخراً بعض الشيء، وتطورت بخطى أبطأ مما هي عليه في الأقطار العربية الأخرى ، ولا زالت الظاهرة إلى حد ما في بدايا ا.

ويبدو أنه لـم يظهر بعد قادة يمتلكون خصائص الزعامة الفذة لتنظيم فعال، وجزئياً يمكن اعتبار هذا التباطؤ ناشئا عن عداء الحكومة الصريح والواضح لهذا التيار الديني[1].

في حين أن التأثيرات من الخارج يظهر أ ا برزت كعامل إثارة ، فمن المحتـمل أن اليقظة الدينية كانت في الأساس استجابة للظروف الداخلية، حيث إن كثيراً من هذه الظروف كانت مساعدة لنمو اليقظة الإسلامية في أقطار الشرق الأوسط الأخرى.

إن إطار الدولة الذي يضفي الشرعية - كما بينا - هو ماركسي لينيني واضح، على أن هناك مؤشرات قوية تفيد أن الشعب لـم تتـم تعبئته حول النظام، وأن الماركسية لـم تضرب جذوراً عميقة في أوساطه، والظاهر أن المواطن اليمني الجنوبي العادي لا يكترث كثيراً لتشريعات الحكومة الأساسية في النواحي التي تـمسه على أ ا تشريعات تتـمتع بالشرعية، مثلاً فيما يتعلق بمجموعة قوانين الأسرة التي تـمثل نواة التشريع الاجتـماعي

---

(١) المصدر السابق ص١٦.

« اعترف المسؤولون على مضض بأن المرء يسمع كثيراً من الأصوات المطالبة بمراجعة هذه القوانين حتى القيادة قد اعترفت ـذه الفجوة الشرعية المستـمرة » .

مثلاً في خطاب حديث للأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني اشتكى من « العقلية المتخلفة » لدى أبناء وطنه وادعى بأن الشيوخ قد ذهبوا، والسلاطين قد ذهبوا، والإقطاع قد انتهى؛ ولكن عقليتهم وتراثهم بقيا، وطبقاً للقرار النهائي الذي اتخذه المؤتـمر الاستثنائي للحزب الاشتراكي في عدن عام ١٩٨٦م: حتى في داخل الحزب الاشتراكي اليمني كثيراً ما توجد [معرفة سطحية عن الماركسية]، فقط محصور مداها في [بعض العبارات التي تـم حفظها][1].

إن النشاط السياسي مقصور على الحزب الاشتراكي اليمني، والـمنظمات الجماهيرية الأخرى الواقعة تحت سيطرة النظام، ومعظم الشعب يبقى معزولاً عن الحياة السياسية بناء على رغبة النظام، أو وفق الاختيارات الشخصية لأفراد الشعب.

وفي نفس الوقت فإن أدوات الدولة المعنية بالهندسة الاجتـماعية-وتشمل وسائل الإعلام- لـم تتطور بعد بشكل جيد، وهذا صحيح بالنسبة للـمنظمات الجماهيرية الهامة في عدن ذا ا، حيث وصفت بأ ا فقط [على الورق، وفي بعض المناسبات]، وبينما يملك النظام جهازاً أمنياً قادراً على مجا ة التحديات السياسية المكشوفة من قبل مجتـمع متشرذم، فإنه في ظل معطيات أساليب التحكم المحدودة لا شك أن هناك -أيضاً بسبب الإهمال- نوعاً من الاستقلالية بالذات في الريف.

إنه لـمن المشكوك فيه مثلاً، كيف يستطيع النظام أن يحكم بدقة ما يقارب ١٨,٠٠٠ مسجداً في ستة آلاف قرية منتشرة في البلاد خاصة مع اعتبار ما تنطوي عليه من المسافات البعيدة، والتضاريس الممتنعة.

---

(١) المصدر السابق ص١٧.

وللأهمية -وعلى نقيض الفترات السابقة- فإن الرئيس قد أرخى القيود الحكومية المفروضة نوعاً ما على النشاط الديني -ربما إلى حد ما- نظير مساعدات مالية أكبر من دول الخليج [1].

خط التدرج الأيديولوجي

إن موقع حركة اليقظة الإسلامية في اليمن الديمقراطية على خط التدرج يعتـمد في نظري على المسألة المطروحة، ويجب تقسيم هذه الحركة من زاوية نسبية، أي: إن على المرء أن ينظر إلى مواقعها وأثرها -حتى لو لـم تكن بـنـيةٍ واعية- على قضايا أساسية محددة بالنسبة إلى الأنظمة العقيدية الأخرى التي تتفاعل معها في البلاد [2].

« متطرف » صفة تستخدم هنا للدلالة على شخص في غاية الاستياء من الوضع الراهن، ويؤيد تغييراً جذرياً فورياً - ليس بالضرورة عبر وسائل عنف - لتحقيق شيء جديد ومختلف.

« محافظ » صفة تستخدم بالـمقابل هنا للدلالة على شخص راض عن الوضع الراهن، لا يهتـم بالتغيير، وعلى استعداد للدفاع عن الوضع الراهن ،باستخدام العنف إذا دعت الضرورة.

---

(١) المصدر السابق ص٢٠.

(٢) يلاحظ أن الباحث يضفي على كلـمة «متطرف» مدلولاً يتناسب مع الدراسة التي يعمل لأجلها، وإلا فكلـمة «متطرف» كانت إبان الحكم الاشتراكي تدخل ضمن أحد تيارات الحزب الحاكم في جنوب الوطن آنذاك، وتستخدم هذه الكلـمة أيضا في كل عصر بمدلول يناسب من تلصق به هذه التهمة.

حتى إذا كانت ندرة المعلومات المتوفرة لا تجعل إطلاق أية أحكام مسألة تـمهيدية، فإنه لا زال من الصعب وضع تصنيف مطلق ومحدد، هذ هي بالطبع قوالب مثالية، بينما الواقع أكثر تعقيداً، ومع ذلك -ولأغراض تحليلية- يمكن أن تكون هذه القوالب مفيدة في تحديد ضوابط قياسية عامة [١].

وفي حالة اليمن الديمقراطي يمكن للـمرء أن يقارن بين الوضع الراهن، وموقف كل من الماركسية وإسلام حركة اليقظة والإسلام التقليدي والإسلام الرسمي، فيما يتعلق بالنظام السياسي، والتراكيب الاجتـماعية، والنظم التقليدية.

ويمكن تـمثيل المواقع بواسطة رسم تخطيطي بسيط، وهو هذا:

المواقف تجاه الوضع الراهن

	النظام السياسي	النظم الاجتـماعية	نظام المعتقدات التقليدية
نظام الحكم الماركسي	متلائم	معاد	معاد
الإسلام الرسمي	متلائم	معاد	معاد
الإسلام التقليدي	متأرجح	متلائم	متلائم
اليقظة الإسلامية	معاد	متأرجح	متلائم

على صعيد النظام السياسي فكلا الأيديولوجيتين المطروحتين بواسطة النظام، وهما الماركسية، والإسلام الرسمي تساندان - بطبيعة الحال - النظام، واليقظة الإسلامية - حتى لو لـم تقم بمعارضة فعالة - فإ ا - مع ذلك - متحدية للشرعية الأساسية

(١) في هذا النسيج المتأرجح من المتابعة والدقة ما يشير إلى الأغراض الأساسية والسياسية التي تكتب من أجلها هذه التقارير، وما يمكن بناؤه والعمل عليه تجاه التحولات من خلال المكتوب.

للنظام، أما الإسلام التقليدي فيمكن للمرء أن يخمن أنه سيظل أكثر التيارات استكانة رغم أنه لا يؤيد النظام الحالي، ولا يمثل بديلاً شاملاً يتميز بترابط واضح.

وعلى صعيد التراكيب الاجتماعية الكائنة فإن الأيديولوجيات المرتبطة بالنظام تتعارض مع الوضع الراهن حتى لو أُرغموا على استخدام النسيج الاجتماعي القائم كالقبائل ليحموا البلاد، والمسلمون التقليديون يدعمون من الجهة الأخرى الوضع الراهن.

وخلاصة القول: أن النظام وظاهرة اليقظة في اليمن الديمقراطية يظهران عناصر في كلا الظاهرتين: التطرف والمحافظة، كما يصح كثيراً عن الحركات الناهضة الأخرى في المنطقة[١].

وفي حالة اليمن الديمقراطية بينما يعتبر تصوير النظام للمجتمع متناقضاً مع الاسم تناقضاً واضحاً، إلا أن التنفيذ الفعلي لهذا التصور قد تم كبحه فيما يتعلق بأثره على التراكيب والقيم الاجتماعية الجنوبية. والحال كذلك.. فإن المجتمع سيطلب تغييراً نسبياً لينسجم مع الإسلام لو تغيرت الدولة [٢].

التنافس على مشاعر وعقول الناس

كما يبين الجدول رقم (١) فالنظام ورواد اليقظة يجدون أنفسهم على طرفي نقيض حول قضايا رئيسة، كذلك فهم يتنافسون لامتلاك مشاعر وعقول نفس الجمهور - المسلمين التقليديين - وكلاهما يسعى لتعبئة هذا الجمهور لصالحه.

---

(١) المصدر السابق ص٢٢.

(٢) المصدر السابق ص٢٣.

وفق هذا التقرير يظهر أن رواد اليقظة في موقع أفضل بكثير من موقع النظام من زاوية أيديولوجية، فالنظام العقيدي لرواد اليقظة هو أكثر التصاقاً بما يؤمن بين الجماهير من ماركسية النظام.

وبفضل القيم والرموز المشتركة سيحتاج الأمر إلى جهد أقل لتحريك الجماهير التقليدية نحو ظاهرة اليقظة الإسلامية، وليس نحو الماركسية التي سيكون الالتصاق ا معادلاً للردة، باعتبار الاختلاف الأساسي في الرؤية إلى جانب المظهر الاغترابي.

ومن المثير أن تبدي الصحافة أسفها بأن محرضي اليقظة الإسلامية يجعلون دعو م مناسبة لـ مستوى التفكير لدى الجماهير البسيطة لاستدراج عطفهم، ووجود أتباع اليقظة الإسلامية يمثل في الحقيقة عقبة أمام النظام لتحقيق إقبال المسلـ مين التقليديين عليه، ولو لـ م يوجد أتباع اليقظة لصياغة الانتقادات فإن النظام سوف يجد معالجته للجماهير المفككة بدون شك، وللتأكد من ذلك فقد سعى النظام إلى استخدام الإسلام الرسمي لاحتواء الهوة بينه وبين الجماهير المسلـ مة.

وفي حالة اليمن الديمقراطية تظهر الفلسفة الدينية التحررية في الحقيقة على أ ا من صنع النظام، وليست حركة فكرية مستقلة في نشوئها برزت من القطاع الديني التقليدي، وتجمعت نحو النظام الماركسي.

إن تصورها الماركسي لا يدل في الواقع على موقف بارع، كذلك في السباق إلى الشرعية الإسلامية يعاني النظام تعويقاً خطيراً بسبب التصاقه بالـ ماركسية اللينينية، ومن المرجح أن يكون من الصعب إقناع مواطني اليمن الديمقراطية أن الماركسية اللينينية تدعم أي نمط إسلامي، حتى الفلسفة الدينية التحررية بناء على الاعتقاد بأنه نمط ميتافيزيقي للعقائد صحيح وصادق بشكل موضوعي، وليس مجرد أهون خيار شيطاني في نظر النظام الماركسي يتعامل معه لفترة قصيرة ثـ م يستخدمه كمركبة

تكنيكية مناسبة لكبح وتقويض الإسلام، واستبداله بكل أشكاله في النهاية بأيديولوجية النظام «الاشتراكية العلـمية» .

والنخبة الحاكمة في اليمن الديمقراطية هي بالتأكيد بعيدة عن التجانس، وتتفاوت على الخط الأيديولوجي من الشيوعيين الملتزمين إلى الانتهازيين الملتزمين، الذين قد يتـملقوا الاشتراكية لكنهم في حقيقة مشاعرهم يظلون مرتبطين بولاءا م القبلية والإقليمية وكثير من القيم التقليدية، ورغم أن المرء لا يستطيع قراءة ما في ضمائرهم؛ فإنه من المشكوك فيه أن يكون الإسلام في أي صورة محتلاً لـموقع مركزي في النظام العقيدي لكثير منهم.

وفي نفس الوقت، فإن معظم قادة اليمن الديمقراطية مستـمرون في الاعتـماد من حيث القوة العسكرية، والأمن، والدعم السياسي، على وكلاء قَبليين لا زالوا يؤمنون بالعقلية والقيم التقليدية، وربما أيضاً في مجال الدين. وإذا كان الحال كذلك، فمن المصلحة حتى بالنسبة للقادة الملتزمين كليةً للـماركسية أن يتجنبوا دفع أنصارهم إلى الاغتراب.

التوقعات المستقبلية لصالح ظاهرة اليقظة الدينية

إنه لـمن الصعب التنبؤ بكيفية تطور الوضع زمنياً، ومن المؤكد تقريباً أن اليقظة الإسلامية من جهة، والإسلام الرسمي من الماركسية من جهة أخرى ستستـمر في التخاصم باعتبار تناقضهم الشامل على مستوى التصورات والبرامج الاستراتيجية.

يمكن أن تؤثر بعض التطورات على خط سير اليقظة الإسلامية بشكل ملحوظ، وبالذات بواسطة التأثير على القاعدة الكبيرة الكامنة للـمتعاطفين ضمن القواعد التقليدية [1].

(١) وضع الباحث هذه الجملة خطاً مما يدل على أهميتها في مسألة التحول والـمبادرة بالعمل على تحريك طرفي اليقظة الإسلامية -كما سماها- والـمتعاطفين ضمن القواعد التقليدية،

أولاً قد يحاول النظام تنفيذاً أكثر شمولاً لـمخططه عن ا تـمع، وهو المخطط الذي طال تأجيله.

مثلاً تنفيذ القوانين الحالية المتعلقة بحدود المهر، وتعدد الزوجات، والحجاب، ودور المرأة في ا تـمع قد ينشأ عنه رد فعل شعبي واسع، ومن المحتـمل جداً أن يتخذ شكلاً دينياً، وبالـمثل إذا اعتـمد النظام إجراءات تشريعية ضد النشاط الديني الذي لا يقبله فإن ذلك قد يشعل معارضة هامة.

على العموم فالنظام قد سار في هذا ا ال بحذر شديد، فالـمثال الذي تطرحه أفغانستان، والذي يوضح مزالق ا ا ة المباشرة مع الإسلام كان له أثر الصحوة في عدن وبشكل خاص ، فاقتدار الإسلام على تحقيق التحام مجتـمع قبلي مشابه في أفغانستان لا يمكن أن يكون مطمئناً لعدن.

التغيير الثاني : قد يكون تدهوراً اقتصادياً آخر بشكل دراماتيكي، وبالذات لو أجبر عدد كبير من اليمنيين الجنوبيين العاملين في الخارج على العودة إلى الوطن، ستتعرض البلاد ليس فقط لفقدان مفاجئ لـمصدر رئيس من العملة الصعبة، بل سيكون أيضاً من الصعب احتواء العائدين في الاقتصاد المحلي، ومرة أخرى يمكن التعبير عن اضطراب الروابط والاستياء الناتجين باستخدام مركبة دينية [(١)].

ثالثا: نفس الأثر الناتج عن انتصار إيران السابق في حرب الخليج هو أثر حدوثه متوقع في مواقع أخرى من المنطقة يحتـمل أيضاً أن يكون له أثر هام على رواد اليقظة

وهذا ما حصل في المنطقة اليمنية، وظهر منه إنشاء الأحزاب والجماعات الإسلامية.

(١) هذا هو ما شهدته المنطقة بعينه إثر حرب الخليج المفتعلة.. فتأمل !

في الجنوب اليمني ولو لم يكن أي شيء آخر؛ فإن المثال الدال على قوة تأثير الإسلام كأداة سياسية، وضعف الأنظمة العلمانية قد يعمل كمثير لنشاط أكبر [1].

رابعاً : إذا كان الصراع المزمن داخل النظام قد تدهور إلى صدام عسكري علني على نطاق واسع مرة أخرى كما في يناير ١٩٨٦م واستمر طويلاً، فإنه قد يشجع معارضي النظام على القيام بنشاط أكبر يشمل أتباع اليقظة الإسلامية.

وأخيراً : ليس واضحاً ما قد يحدثه اكتشاف النفط من تأثير على الوضع لو نشأ عنه غنى غير متوقع، من جهة قد ينتج عنه تحسن ملموس في حياة الشعب اليومية بالتوازي مع توسع سلطة الدولة، وقد يكون له أثر يخمد المعارضة.

وعلى الرغم من أن رواد اليقظة الإسلامية قد لا يكونون أقل عداوة للنظام، فإنهم سيجدون حرية النشاط قد تناقصت مقابل تزايد قوة الدولة، وتتناقص أعداد المتعاطفين المستجيبين لهم بسبب استقطابهم بواسطة ظروف معيشية أفضل .

« ومن خلال سيناريو بديل » قد تسهم ثروة النفط المفاجئة في تعجيل الاضطراب في المجتمع وزيادة الفساد الحكومي وتشجع الحكومة على تطبيق مخططها الاجتماعي مساهمة بذلك في تصعيد المعارضة الشعبية وظاهرة اليقظة الإسلامية.

إنه من السابق لأوانه الحديث عن أثر الحرب الأهلية القصيرة في ١٩٨٦م - إن وجد هذا الأثر - على وضع الإسلام في المدى البعيد [2]، ومن المحتمل أن يتوقع المرء استمرارية السياسة الدينية للنظام على الأقل في المدى القصير، مع نفس التأكيد

---

(١) المصدر السابق ص٢٧ .

(٢) كتب الباحث في التعليقات: ضوء جانبي ألقته الحرب الأهلية في عدن، إذ أوضح صلة المسجد بالمجتمع، فقد كانت المساجد هي المصادر الوحيدة للماء بعد تعطل شبكة المياه في المدينة أثناء الاقتتال.

المزدوج على معارضته غير المباشرة للإسلام الشعبي من أي نوع، وتعزيز الفلسفة الدينية التحررية، ولا زال رجال الحكومة يحافظون على التغطية الإعلامية لحضورهم الاحتفالات الدينية العامة في المناسبات المقدسة، وفي نفس الوقت يستـمر تفسير الإسلام فقط من منظور اجتـماعي اقتصادي.

من جهة أخرى ظهر تطور واحد، قد يستـمر وقد لا يستـمر طويلاً تـمثل في حضور أكبر لعناصر أكثر تطرفاً في الحزب الاشتراكي اليمني في مجال الصحافة ، وقد قاد هذا إلى حالات قد يعتبرها المواطنون المتدينون استفزازية.

في هذه الأيام تظهر الكلـمة الفعلية « شيوعي » في الصحافة لأول مرة لتصف الزعيم الذي قتل في الحرب الأهلية، ومما يعد أكثر دلالة بعض الأناشيد المنشورة والتي تـمجد الزعيم الراحل إلى حد يراه أغلب المسلـمين قريباً جداً من التأليه.

مثلاً في إحداها يطلق عليه « النبي » ، ويوبخ الإله على موته « حيلته القذرة » ، والشهادة يتـم الحديث عنها بسخرية، أشهد أنه لا يوجد فرق بين الزعيم « فلان » والحزب[1]، وفي هذه الحالة فإن تدني نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة ومحدودية التوزيع للصحافة المحلية قد يعتبر نعمة مقنعة.

إن الذين هربوا من البلاد بعد انهزامهم في ١٩٨٦م قد واجهوا أيضاً حرجا في تعاملهم مع الإسلام، ورغم حدوث مناقشات داخل الحركة المنفية ومحاولة تسخير الوجدان الإسلامي لتحقيق العودة فإن ذلك قد يكون صعباً، كما هو الحال الآن بالنسبة للحاكمين في عدن فإن اللاجئين القياديين يؤلفون أيضاً مقطعاً واسعاً للتدرج الأيديولوجي، بعضهم وطنيون، والذين كما ظهر في الحالة الأخيرة قد أصبحوا يكنون عداءً واضحاً للسوفيت، وبعضهم الآخر استـمروا شيوعيين بمفهوم نظري غير

(١) جاء ذلك في مجلة ١٤ أكتوبر ١٠ مارس ١٩٨٧م ، وراجع « الوضع الراهن » ص٦ من الملحقات.

علـمي، مع بقاء معظم القياديين « بين بين » ، ومعظمهم قد يعمل بدون شك على تحقيق توافق أيديولوجي لـمسألة استخدام الإسلام كتكتيك نفعي. وبالرغم من أن هذا المنحى قد يكون أكثر المسارات فعالية لتعبئة لاجئي ١٩٨٦م وأكثرهم قبائل يحملون قيماً تقليدية والدعم العربي الخارجي وسكان اليمن الديمقراطية[١] ؛ إلا أن آثاره العكسية قد تكون أرجح من منافعه بالنسبة للزعيم المنهزم ١٩٨٦م :

أولاً : قبل كل شيء.. أي حركة مؤسسة على الإسلام ستحرق جسوره مع الاتحاد السوفيتي، وهو أمر ما زال الزعيم غير مستعد للتفريط فيه رغم الدعم الواضح الذي تبديه موسكو للنظام الجديد في عدن.

وعلى نفس الأهمية، فإن حركة كهذه قد تحرر بسهولة قوى تتجاوز سيطرة الزعيم ورفاقه، وتكون معادلة له بنفس العداء الذي تكنه للنظام الحالي في عدن، وبالنتيجة ستكون شرعية الزعيم من وجهة نظر إسلامية على أحسن الفروض مشكوكة فيها، على أي حال سيصبح هذا الخيار قابلاً للنقاش إذا تفتت حركة اللاجئين كما هو محتـمل [٢].

وباستثناء هذه الانتفاعات فإن مجرى الأحداث قد يتأثر باتجاهات ذات مدى أطول باتت ملحوظة، فالـمشاكل الاقتصادية والاجتـماعية الحالية كالنمو السريع للسكان وإجهاد الخدمات الاجتـماعية، وكساد سوق العمالة، وغياب - أو محدودية - السلع، يمكن توقع استـمرارها في المستقبل المنظور [٣].

---

(١) ربما يكون في هذه العبارة سقط أو خطأ من مترجِم التقرير.

(٢) وقد صح هذا الاحتـمال ونفذ تـماماً.. ولكن أين الاعتبار ؟

(٣) المصدر السابق ص٣١.

وعلى كل حال يظهر أن النتائج كانت مخيبة للآمال رغم الجهد الكبير الذي بذل ليجعل من هؤلاء الشباب سندا للنظام، وتعترف المصادر اليمنية الجنوبية أن كثيراً من القيم والعادات والـمعتقدات القديمة لا زالت مسيطرة على الشباب، بحيث إن الثورة والتغيير سوف تكونان مهمة صعبة ومعقدة، فالنظام قد افترض أن انتشار التعليم سوف يضعف ارتباط الشباب بالولاءات التقليدية، بما في ذلك الدين .

ولكن رغم التقدم الكبير في التعليم وتزايد اطلاع الشباب اليمني الجنوبي فإن الأمور لـم تسر كما هو متوقع حتى في عدن، فأقل الأوساط الاجتـماعية المحافظة على التقاليد هي « أشيد - منظمة الشباب الرسمية » قد اـمت بضعف عملها السياسي، مما سمح بإملاء وقت الفراغ بواسطة قوى معادية للتوجه الاشتراكي في أوساط الطلاب، كما يلاحظ أيضاً أن الوضع في أوساط الأطفال ليس أفضل من وضع أشيد نظراً لتسرب بعض الأفكار التقليدية المعادية في أوساط بعض تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية. حتى في الحالات التي تـم فيها تقويض قيم الشباب التقليدية فإن ذلك كثيرا ما أسفر عن انحراف التوجه، وليس احتواءً ماركسياً، وسواء كانت عقلية الشباب محافظة أو أ م يفتقدون إلى المعايير الاجتـماعية المعروفة؛ فإ م سوف يظلون مجالاً خصباً للاستقطاب من قبل رواد اليقظة الإسلامية في المستقبل المنظور، خاصة إذا عجز النظام عن تحسين الإمكانات الاقتصادية.

من جهة أخرى يوجد على الأقل عاملان هامان يعملان على كبح توسع حركة اليقظة الإسلامية أحدها هو التشرذم التقليدي للولاءات على المستوى الإقليمي والقبلي والقروي « نسبة إلى القرية » ، وهو تشرذم يجعل تعبئة الجماهير من قبل أية مجموعةٍ مهمةً معقدةً.

وإلى حد كبير فإنه يظهر أن الإسلام التقليدي في الماضي خاصة في الريف؛ قد كان انعكاساً لهذا التشرذم السياسي والاجتـماعي من خلال التركيز على القادة الدينيين

المحليين وطائفة الأولياء المحليين. ومن المحتمل أن هذا الوضع لم يطرأ عليه سوى تغيير بطيء، إذ كانت الولاءات المحلية الثابتة الظاهرة في مجال الصراع السياسي تمثل مؤشراً لذلك، ومع ذلك فإن من المحتمل أن الخبرة المشتركة والمكتسبة من خلال العمل في الخارج مع غير اليمنيين قد تساعد على تفتيت هذه الولاءات المحلية، وترعى إحساساً بهوية الجنوبي تكون له اليد العليا.

وبالنظر لهذه الوقائع الثابتة حتى في غياب الاندفاعات الخاصة المشار إليها أعلاه من المحتمل أن يحظى انتشار حركة اليقظة بتزايد مستمر، وسيكون من الصعب على النظام أن يتقاعس عن عمل شيء ما، بينما المحرضون في عملهم في المجتمع متخذين من شرعية النظام، وعند نقطة معينة قد يرغم الوضع النظام على شن حملة واسعة على الإسلام بشكل قبل أن يصل ارتباطه إلى تحقيق زخم يهدد النظام، إلا أن ذلك قد يصبح نبوءة ذاتياً بتوفير الحافز المطلوب لتنشيط الجماهير المحافظة نيابة الإسلام طبقاً لمخطط رواد اليقظة الإسلامية [1]. « انتهى التقرير »

خلاصة الخلاصة

وكانتِ المؤامرةُ كبيرةً جداً، وكان تنفيذها عبر المرحلة أكبر عمقاً وأثراً وتأثيراً على حقيقةِ الإسلام ومنهجيته، سواءٌ من حيثُ علاقةُ الأمة به، أو علاقةُ القوانين والتراتبِ الاجتماعي الجديد به، وكانت ثمرةُ التحولات وحصيلتها ركاماً من الضحايا والمفتونين، وبيئةً لمرحلةٍ جديدةٍ تحمل الفيروسات الفكرية المتنوعة، وتصنع أرضيةً ذاتِ أبعادٍ توليفية، يجد المستثمر فيها بغيته المنشودةَ وسياسته المقصودة.

(١) المصدر السابق ص٣٢.

ومن وجهة نظرنا نعلم أن مالك الملك هو الله سبحانه وتعالى، {قُل اللّهم مالِك المُلْكِ تؤتي المُلْك من تشاءُ وتنزع المُلْك مِمن تشاءُ وتعِز من تشاءُ وتذِل من تشاءُ بيدِك الخَير إنك على كُل شيءٍ قَدِير} [آل عمران: ٢٦].

وأن الأمر للّه من قبل ومن بعد، والذين لا ينظرون إلى أقدامهم لا يدركون مدى ما تثيره الأقدام من الغبار المتحرك خلفهم، فالأرضية التي يسيرون عليهم ملوثةٌ جداً بالسرجين ونفاياتِ المراحل، وكأني بالأجيال القادمة قد عمِيت منها الأبصار والبصائر لولا حفظُ اللّه ورعايته، حيث إن ما تفرزه العقولُ الآثمةُ يدمر الحاضر ويشتت المستقبل، وما تعانيه الشرائح الواهمة ينذر بأن يبيع أحدهم دينه بعرضٍ من الدنيا قليلٍ، وما من فتنة من عهد آدم حتى قيام الساعة إلا وهي تصنع لفتنة المسيخ الدجال.

وقد اجتهد سماسرة الدجل العالميون والمحليون في خدمة البرنامج الدجالي حتى النهاية، منهم من يعلم ويستلم عائدات عمله وعلمه، ومنهم من لا يعلم وتستثمره قوى الشر على ما فيه من غبائه وجهله، ولكل أجلٍ كتاب.

وكتابنا هذا ملخص لحصيلةِ تجربةٍ ومعاناةٍ، عبرنا عن القليل منها في مجرياته وأحداثه، وبأسلوبٍ نحن ارتضيناه، وربما لم يرض به غيرنا وإن كان من أبناء جلدتنا. والنقص يعتري مجهودات الإنسان القاصر، ولا سبيل إلى الكمال إلا في ما صدر عن الكامل صلى اللّه على وآله وسلم.

وأريد أن أقول: إن الرموز والأصابع كانو ضحية اليد المتحركة، وكانت اليد المتحركة عاملاً خطيراً في جسد المرحلة المفروضة على الأمة.

وتتكرر العملية مع كل مرحلة.. ولكن شرف الإسلام عظيم، ولا يستشعر هذا الشرف بمعانيه الأصيلة إلا من ذاق لذة الإيمان، وهذه اللذةُ متوفرةٌ في قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: « ذَاق طَعم الإيمان من رضِي باللّه رباً وبالإسلامِ دِيناً وبمحمدٍ

صلّى اللّه عليه وسلّـم نبياً ورسولاً » . فعسى أن يجد جيلنا المعاصر في هذه اللذة نصيباً يسهم في بناءِ قمةٍ وقاعدةٍ إيمانيةٍ متـماسكة.

اللّهم وفقنا لـما تحب وترضى، واجعلنا في عبادك الصالحين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصلّى اللّه على سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلـم.

الخاتمة

ظل هذا الكتاب حبيس القدر سنوات عدة، وفي مدينة جدة أعدت تبييضه، وجهزته للطباعة، وفي عام ١٤١٢هـ بعثت به لطباعته على الكمبيوتر، ومن ذلك اللحظة حتى عام ١٤٢٠هـ لم يرجع إلي منه خبر، وأعتقد أنه ضاع بين تداول الأيدي.. وقد يكون غير ذلك؟؟.. ورجعت أبحث عن مسودات الكتاب، فجمعتها من جديد، وحذفت منها ما لا حاجة له الآن، وأضفت ما يمكن الاستفادة منه. وهأنذا أود أن أضعه بين يدي القارئ كشاهدٍ حالٍ على مرحلة لم نفصح عن كل شيء كان فيها، بل أخذنا مقتطفاتٍ وشذراتٍ. ولقد كانت بحق مرحلة تحول خطيرة، سحبت آثارها على كل شيء في حياة جنوب الوطن حتى اليوم، وما بعد اليوم.

والعجيب أن قوافل المشتغلين بالممارسات المنحرفة يرغبون في السكوت عما جرى، ويودون أن لا يتحدثَ عن الماضي بخبر ولا أثر، ويرونَ مثل هذا أمراً قد فات أوانه!

ونحن نعتقد أن الأوان لم يفت، بل ما زالت آثار النكسة وعمقها ينخر في الأمة وإن ذهب الممثلون المسرحيون عن الحلبة.

فالأوطانُ مسرح، وفي كل جيلٍ من يهيأ للتمثيل، ونحن يعنينا ما يُخرجه المسرحيون، ويهيئون للمراحل، وأما المسرح والممثلون فقد تعودنا على مشاهدتهم والإعجاب بهم، والتصفيق الحاد لهم في كل مرحلة وعصر.

بيعت الأوطان بالشيكات..
والإسلام بالصك المزور..

كتبت على نمط الشعر الحديث في لحظةٍ من لحظات الأيام الصعبة والسحب قاتـمةُ الاحمرار ، والأملُ منغلق بانغلاق جدرانه الصلبة ، بعد أن هيأ اللّه الخروج من محنةِ الإحباط، والتحولَ إلى عالـمٍ بشري آخر، والتشابه في بعض الصور السلبية قاسم مشترك في المجتـمعات ، كتبت فقلت:

أي مِنبر..
أرتضِيه خندق الحرفِ المصدر..
أبتغيه مترس التعبير عن وعي تفجر..
أزماتٍ ومهماتٍ وأكبر..
وأنيناً صادراً من جوف مضطر..
...
شعبنا المكبوت..
في جب السكوت..
كُبلَت آمالُه الحبلى..
وصار الطفلُ أحمر..
حضنوه في فراش اللُقَطا..
أطْعموه لبن الدب العجوز..
وهو قطعاً لا يجوز..
نسب -لا شك- أعسر..
...
كان من قبلُ أسيراً..

تحت أيدي بعض تجّار الحروب العالـ ميةْ..
وتحرر..
منحوه خلف أسوار الظلام عِقدا..
صار عهدا..
واستحال العهد وعدا..
وتبلور..
و اوى الصرح من تحت القواعد..
وتبعثر..
...
يتبارى العاشقونَ الآبقونْ..
تحت بابِ الوطنيةْ..
بشعاراتٍ ومظهر..
ودراساتٍ تحضر..
ونِتاج الأمرِ أسفَر..
...
نتن الأقدامِ في شاطِئ صيرةْ يتكرر..
قَوهةُ البركان عادت لغةً أعتى وأخطر..
أوقدوا النار على ماءِ الينابيعِ القريرةْ..
أحرقوا ما كان أخضر..
سلبوا الشاطئَ أصداف المَحار..
أغرقوه بالنفاياتِ العقيمةْ..
والقُماماتِ الوخيمةْ..

وحميماً يتـ ـمور..

...

والـ ـمزامير الأجيرةْ..

في الوزاراتِ الكبيرةْ..

والإداراتِ الأخيرةْ..

تتكور..

لجنةٌ تأتي كذا وفد تقرر..

يسألونَ المستشار وأساطين السفارةْ..

عن مدى تكثيرِ أفراخِ السلاحف..

بين سيحوت وأحور..

...

خبراءُ المسحِ من فوق الخرائطْ..

يذرعونَ الوطنِ الممسوخ أحراراً..

وأهلُ الأرضِ تجُزر..

...

والقوارض..

تتنزى خلف ألواحِ السواعي..

في البريقةْ والـ ـمعلاّ..

وكذا في خورِ مكْسر..

وخفير البحرِ يسكر..

كبلُوه بالأماني..

شغلوه بالغواني..

هزموه بالقَناني..
والأغاني..
دمروا الِغيرةَ بالـ مصل الُمحضر..
بات يشخر..
...
ونفير الحاملاتِ السودِ دوى..
في الخليج الثـ ـمِل المشحون عوى..
وجميع الركْبِ عسكر..
أَلِفَت صِبيانُ حي « الِبنجِسار » الغربا..
أي فرقٍ بين أنواع الغبا ؟..
نحن في عصرٍ به التفكير أزور..
كل تفكيرٍ سليمٍ..
مستقيمٍ..
ختـ ـموه سلفاً بالشمع لحمر..
لا يعِش في الأرضِ..
في أمنِ الحِمى..
غير أهلِ الإنتـ ـما..
والبواقي كنفاياتِ الـ ـمزابلْ..
بل وأقْذَر..
...
تخرس الأفواه في كل المحافلْ..
والخِراف الحُمر تهذي وتطاولْ..

تحت أضواءِ النيون تتعنتـر..
بالـمقاييسِ الجديدةْ..
آهِ.. ما تلك المقاييس الجديدةْ..
عجلٌ تطوي مسافاتِ الحروفِ الأبجديةْ..
والهويةْ..
لا ترى في الناس أجدر..
غير ممسوخٍ مدمر..
...
وبحُوت المُتخمِين اتجهت نحو الحظيرةْ..
لِتشارك نخْبةَ الأحرارِ..
في صنعِ القراراتِ الخطيرةْ..
بصماتٍ وخيانةْ..
ومزاد يتكرر..
...
كَدر البحر الذي قد كان حلـما..
وتعكر..
هاجرت أسماكُه عن كُل وكْرٍ..
تحت جنحِ الصمتِ تزخر..
خلفَت جيش الأُسارى..
والسكارى..
والغواني والحيارى..
وثعابين الولاءاتِ الجديدةْ..

والحَرابي..
وبويضاتٍ وجمبر..
...
همس الشيخ الدليلْ..
ما بقِي غير القليلْ..
هذه آطام لُودر..
ودعوها..
فلعلّ الغد يدري أنّ للتوديعِ مظهر..
ودعوها..
فلعلّ الغد يأتي ..
بمضامين وجوهر..
ودعوها..
فلعلّ الجيلَ يدري..
من لأرضِ الخَير دمر..
ودعوها..
فلعلّ الجيلَ يدري أنّ في التاريخ منكَر..
ودعوها..
ربما عدنا إليها..
ربما سِرنا عليها..
ربما عِشنا على رغْمِ المسافاتِ البعيدةْ..
أقْرب الناسِ إليها..
ربما عدنا نِعيد القَفْر أخضر..

...

يا لَهولَ الغدرِ في عِرضِ الشعوب..

كيف ينخر..

كيف ترتد الأهازيج نشيجاً..

ودموعاً تتحدر..

كيف أحلام الحماسِ تتبخر..

كيف تطوى صفَحات الإبتسام..

والحلال والحرام..

وبنود اليأسِ تنشر..

...

نبتت أزهار قلبي وهي ثكلى..

وزعتها الحادثات بين صنعا والمكلاّ..

وشآبيب الأماني..

لم تزلْ في الذاتِ حبلى..

وعجوز الذكرياتِ تتثَنى..

وهي شلاّ..

تتعثّر..

بين مضمونٍ ومظهر..

...

هشةٌ جدرانُ أصحابِ القيادةْ..

محتوى الأشكال لا يحوي إفادةْ..

وجدير بالمضامين الدخيلةْ..

أنْ ترى الإنسانَ مهدور السيادةْ..
وزيادةْ..
يتدمر..
...
يا لَذِكْرى يومِ نعيِي..
عندما أعلَنت رأْيِي..
وأنا في أوجِ وعيِي..
أتفَكر..
وصموني بالعمالَةْ..
مِن حثالاتِ الحُثالَةْ..
نزعوا عني انتـ ـمائي..
جردوني مِن ردائي..
أخذُوني للـ ـمعسكر..
بالعذابِ والوعيدِ استدرجوني..
خلْف قُضبان الحديدِ استجوبوني..
قال مندوب العصابةْ..
أنت رجعِي عنِيد..
وانتهازي مريد..
كهنوت يتستر..
وكلاماً ليس يذْكَر..
...
كَم أَلِفْت الانتظار..

تحت أبوابِ الصناديدِ الأجيرةْ..
أتصبر..
كان لي عند المُدِيرِ أمر نقْلٍ..
وحقوق سلِبت مِن غَير عدلٍ..
ومحرر..
ِنصف عامٍ وهي تطْوى..
ثُـم تنشر..
بين سِردابِ الوزيرِ..
وإلى القصرِ المُدور..
سألوني..
دونَ تـمييزِ الحروفِ..
من أبوك؟
كم رفاق يعرفُوك؟
أي حِزبٍ أنت فِيهِ؟
أين كنت عام سبعين المُظَفر؟
ما تقولُ في فلانٍ وفلانْ؟
ومقاييسِ الزمانْ؟
وأخيراً.. كتبوا ظهر الرسالة.. (لُوحِظَ الأمر.. ولكن.. سنرى في الأمرِ أكْثَر..
فلْيؤخر) ..
أُجلَ الأمر لِينظَر..
...
واستوى الفُلْك على الجُودِي..

وعسكر..
ورمى الربانُ أحبالَ الشراع..
في فَضاءِ الاتساع..
وهو صِفْر الِاتجاه..
يتمحور..
كلما اجتاز حدوداً..
وسدوداً..
وجد الآتي فَراغاً..
هو أكْبر..
دلفَت أقدامه الأمن..
كما ظَن..
وبعض الظن إثْم..
يتكرر..
هيه يا دنيا..
ظننا وظننا..
ثُم ما تغني ظنونُ الإثم مضطَر..
...
نشطَت جرذانُ أحواض المواسير القديمةْ..
تتشفّى..
وهي أخفى..
تملأ الأرجاءَ شكّا..
وهي في ساحةِ مرقَا..

تلْقُطُ الأشياءَ حِرصا..
وبلاد المسلـمين اليوم صارت..
كرنفالا..
بنطلوناً وعِقالا..
وانحِلالاً وابتِذالا..
جمعت من كُل مظْهر..
ويقولونَ: دليلٌ..
أننا شعب تطَور..
...
قِيلَ للـمشدوهِ جرب حظك الميمونَ تظهر..
لا تكن في عزلةِ الماضي حبيساً..
أنت ينبوع تفَجر..
خض غِمار الحادثاتِ المثقلاتِ..
بالأماني..
ضوؤك القادم أخضر..
هذه لُعبةُ ((جوكر))..
...
ومضى الأنداد والأضداد..
في طِستِ المعايير الحديثةْ..
والعلاقاتِ الحثيثةْ..
تتـمحور..
وعقولٌ صنِعت من صِنفِ آلاتِ الحضارةْ..

تترامى باختيارٍ..
مثل أعقابِ السجارةْ..
تتناثر..
في ممراتِ القصورِ المستديرةْ..
والعلاقاتِ الأجيرةْ..
ومقَرر..
...
ورضيت الصمت في لَحدِ وجودي..
رغم عيشي ووجودي..
لِي مفْهوم ينافي..
صورةَ الحال المُقَرر..
...
كُل شيءٍ قد تغير..
بِيعتِ الأوطانُ بالشيكاتِ..
والإسلام بالصك المُزور..

ذِكْراكُم في مهجتي..

هي جتي..

هي بعض أحلامي..

كذا أمنيتي..

لا تنطفي من « ردهة » القلب الشفُوق..

شهيتي..

تتداخلُ الألحانُ في ذاتي..

بأعذبِ نغمةِ..

الذكريات حقيبتي..

وهديةُ الصمتِ الرتيبِ..

إلى ليالي وحدتي..

ومساحةٌ خضراءُ..

ألتـ ـمس الخُطى في دفتيها..

بكْرتي وعشِيتي..

...

نبتت أزاهير الأماني..

وردةً..

عند الأصيلْ..

كأ ا جسد عليلْ..

حمرةً في صفرةً..
بين الشروق..
ولحظةِ الأمسِ المغيب مسافتي..
...
أغنيتي وطني..
بلا لحنٍ.. ولحني غُربتي..
أستوفز الوقت الشريد..
توثباً..
وتِري يسابِق رغبتي..
أستعرض الآتي..
وأذرع في الخيال مدينتي..
أعدو على رمل الطفولةِ..
كالسجين المُفْلتِ..
أُمنيتي..
لكنني في اللّوحِ محظور..
وعيبي بـ ـنـ ـيتي..
تركِيـ ـبـ ـي الطبقي عار..
عندهم..
ووثائقي.. شخصيتي..
ولسانُ قلبي ناطق..
ويتي..

وحقيقتي وقضيتي..

...

أنا مؤمِن..

لا أستسيغُ روائِح الشرهِ الحديثِ المُمقَتِ..

ومن المحيطِ إلى الخليجِ بِليتي..

ومصيبتي..

أصوات ردع الغانيات..

على مدائنِ أمتي..

وهم التطَور..

من عقول الفتية..

أصداؤهن منابر..

للعاشقِ المُتفَلتِ..

شهواتهن مشانق..

للزاهدِ المتزمتِ..

يا حسرتي..

جسد حرام مطْلَق الحرية..

تحميهِ أشكالٌ وأموالٌ..

حميا فتنةِ..

ودجاجلٌ ووسائلٌ..

وبدائلُ الأمية..

...

كُسر الزجاج..

ولـم يعد ذا قيمةٍ..
وئِدت مفاهيم المُنى..
في سوحِنا..
وأنا أنا..
وهناك أو حتى هنا..
تغزو الجميع شرائح الهمجيةِ..
...
الفرق أشبه بالزنازينِ الكبيرةِ..
في سجون حضارتي..
كل له زنزانةٌ..
نمطٌ فريد من تناقضِ أمتي..
أو كرنفالٌ واسع التبعيةِ..
...
سوق مزاد..
رهج البلاد..
أطرافُها موصودةٌ بالقوةِ..
الشعب محمولٌ على متنِ الرياح..
ضاق الفضاءُ عن البواح..
والأرض منتنةُ الجِراح..
حرس تراقِب خطوتي..
...
الدين محتضر..

وأما صوته المبحوح منتصر..
نخب غناءٍ مزهرٍ..
تحكيهِ كل إذاعةٍ..
خِدر يدوي في أهازيجِ الصباحِ والـمسا..
ومحاضراتِ العلـما..
وتناقضاتِ البدعةِ..
...
تتفاوت الأوطانُ في رسمِ المثالْ..
كالفرقِ بين حرامِ عصري والحلالْ..
دين يمزقُه الجدالْ..
متـمولٌ بالشبهةِ..
...
والدارسون الطامحونْ..
يهمهم ختـم الأساتذة الكرام..
على بحوثِ الإلتزام..
نسبةً في نسبةٍ..
والجامعات..
مصانع الدينميتِ..
في حربِ الكلام..
ونشوةً كالإحتلام..
تحكِي السلام ولا سلام..
حرب الخراب..

تحت الثياب..
العالم كالعذراءِ فُضت باغتصاب..
حمى الشباب..
قَلْع الجذورِ الماضيات..
ومسخ كُل فضيلةِ..
...
جيش التعصبِ والتحزبِ..
جاهز من أجلِ تعميقِ التناقضِ..
في محيطِ الأمةِ..
وأصابع أخرى..
تهدهِد صِبيتي..
...
تهدِي الأماني في دعاياتِ المَسا..
حلُم الجميع..
لَبن الرضيع..
ومسلسلاتِ العصرِ والشغبِ المريع..
وقواقع التوليف..
للجيل الشريف..
صنعت جيوش الفتنةِ..
...
والعقدةُ الكبرى..
غرام المترفين بعقدةِ الصوفيةِ..

وهنا انتهى دوري..
وجاء الحاكـمونَ بعلبة الشمعِ المركّبِ..
يختِـمونَ قَضِيتي..
في مشرقِ الوطنِ السليبِ..
وغربِهِ..
عمالِ تلك الشركَةِ..
يتناقَشونَ..
بشأنِ قولي.. فِكْرتي..
...
صدر القرار بتهمتي..
وسلِبت في دنيا التشابِهِ..
مِن عوامل عِزتي..
وأنا ومن خلفي..
كما يتوهمون..
خراب جيلِ الأُمةِ..
يا حسرتي..
دمعي يسح على الجُفُونْ..
رهق على رمشِ العيونْ..
والعمر تنهشه السنونْ..
نزف الزمانُ..
ولـم أجِد أُمنيتي..

ثبت المراجع

١. أفيون الشعوب، عباس محمود العقاد، الطبعة الثانية.
٢. بيان مذهب الباطنية، محمد بن حسن الديلمي.
٣. تاريخ الخزرجي، الخزرجي.
٤. تقرير « الإسلام والوضع في اليمن الجنوبي.. التعايش الصعب» ، نورمان سيجار.
٥. ثورة الإسلام، زكي أبوشادي.
٦. الحركات الفكرية في الإسلام ، بندلي جوزي.
٧. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد.
٨. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي.
٩. الروض النضير، شرف الدين السياغي.
١٠. صحيفة ١٤ أكتوبر.
١١. غارة على العالم الإسلامي.
١٢. الفكر الإسلامي وا تمع المعاصر، محمد البهي.
١٣. قرارات المؤتمر الأول.
١٤. قضايا المرأة في الإسلام.
١٥. الكتابة بالسيف، ذو يزن.
١٦. مجلة الحكمة ، العدد الخامس.
١٧. نقد الفكر الديني ، د. جلال العظم.

الفهرس